الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث

المركز الجامعي

أكلي محند اولحاج

-البويرة-

معهد الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

موازنة بين الأمير عبد القادر الجزائري ومحمود سامي البارودي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ليسانس في اللغة والأدب العربي

عداد الطالبتين:

* دحاش خليجة
* دوداح ليندة

إشراف الأستاذ:

دردوخ الزوبير

السنة الجامعية: 2012/2011

شكر وعرفان

نتقدم بالشكر الخالص إلى أستاذنا ومشرفنا: "دردوخ الزوبير" على صبره علينا ووقوفه معنا لإتمام هذا البحث.

كما نتقدم بشكر لا تقل درجته عما سبق إلى موظفي المكتبة على كل المجهودات التي بذلت من طرفهم لأجل خدمتنا.

الاهداء

إلى أعظم شجرة في الحياة

إلى أسرتي.

إلى روافد معرفتي ...منابع علمي

إلى معلمي و أساتذتي.

إلى من جمعتني بهم روابط المحبة والصداقة

إلى أصدقائي.

وصديقاتي.

خليجة

الاهداء

إلى اللذين مهما قلت فيهما لن أوفيهما حقهما

والداي الكريمين.

إلى إخوتي و أخواتي

إلى كل الذين يعرفونني.

ليندة

مقــدمة

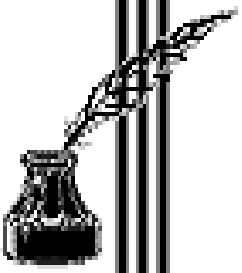

مقدمة:

الصلاة والسلام على أشرف المرسلين وسيّدنا محمّد صلى الله عليه وسلّم ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

الحمد لله الذي أنعمنا بنعمة الأدب الذي يعدّ جزءا من هويتنا العربية والذي يعتبر رمزا للشّعراء الذين خلّدوا تاريخنا، ونظرا لاتساع أدبنا العريق وغزارة حقوله وفحولة شعرائه وسموّ لغته الفنّية ارتأينا في بحثنا هذا أن ندرس حقلا من حقول أدبنا العربي العريق وأن نتأمل في بعض أزهاره، ونسقيها بدراستنا وننعشها بآرائنا حتى لا تذبل، فقد رعاها الأولون وتركوها للأواخر.

هنا وقعت عينانا على زهرتين إحداهما في المغرب العربي والأخرى في المشرق العربي مزيّنة الأدب العربي فأغصانها سيف تحدى الاستعمار وأوراقها فكر ونبراس للعلوم،ورائحتها شعر جذبنا إليها وهما أميرنا وأمير العرب، المفكر والرائد والمجاهد، والشاعر المتصوف والشهيد الأمير عبد القادر الجزائري، مع الشاعر والضابط الموهوب والرائد الثاني للشّعر العربي محمود سامي البارودي، اللذان صنعا معا التاريخ فكانا فيصلين بين عهدين، عهد وصل فيه الشّعر إلى مجرد نظم بارد لا حرارة فيه ولا انفعال وعهد عادت إلى الشعر روح الفطرة والصدق، فما كادت حركة الأمير والبارودي تظهر في الآفاق حتى ارتدت العربية تجول محلقة في السماء العليا، راصدة تاريخ أدبنا العربي، فلقد انصرف كلاهما عن شعر عصره إلى روائع الشعر العربي القديم، على اختلاف بينهما في درجة التقليد فقد صاغا شعريهما بلحن ملفت للعيون، ومثلج للصدور وخاطف للقلوب،رفيق، وهو رحيق يغذيه القديم بخير ما فيه وعاطفة جياشة .

وما يلفت انتباهنا في هذا الموضوع هو تشابه الأمير عبد القادر ومحمود سامي البارودي في عديد من النواحي والزوايا التي دفعت بنا إلى الموازنة بينهما وهي طريقة يستدعيها الموضوع لنستخلص من خلالها الرحيق الصافي والعذب، الذي يتبدى لنا من خلال هاتين الشخصيتين العظيمتين اللتين اشتركتا في الظروف والآلام والأمان ويرجع سبب اختيارنا لهذا الموضوع إلى المكانة الرفيعة التي احتلها الاثنان ولازالا يحتلانها إلى يومنا هذا، كذلك في الشعر وجهادهما في سبيل الوطن.

كما أن الدافع والسبب الحقيقي والعلّة الجوهرية لاختيارنا لهذا البحث هو بيان الرائد الحقيقي للشعر العربي الحديث الذي أهمله أو بالأحرى تعمّد نسيانه معظم نقاد المشرق العربي فعندما جلنا في التاريخ وذلك باستنادنا إلى حجج تاريخية اكتشفنا أن البروز الأول في الأدب والشعر العربي الحديث يعود للأمير عبد القادر الجزائري أولا ثم البارودي ثانيا، ومن خلال اطلاعنا

ودراستنا لكتب الأدب العربي الحديث، وجدنا النقاد المشارقة في تبيينهم للرائد عدم اعتمادهم ولو على حجة منطقية تبرز ريادتهم للشعر العربي .

فيا ترى أين تكمن نقاط التشابه بين هذين الشاعرين ؟

وفيم تتجلى أوجه الاختلاف بينهما ؟ وما هي المسالك التي التقى فيها الاثنان ؟ وما هي الدروب التي افترقا فيها ؟

ولكي يتّخذ هذا الموضوع صفة رسمية ويتسنّى لنا من خلاله الإجابة عن الإشكالية المطروحة، سطّرنا البحث وفق خطة متّبعة تقيّدنا بها، والتي لا تخرج عن موضوع البحث الشاسع الذي تتعدد ميادينه وتتشابك مجالاته، وتتفرع مسالكها لأن هذا الموضوع يقع في مفترق طرق الأبحاث العلمية والأدبية في العصر،ففتح لنا هذا الموضوع الباب على مصراعيه لنخترقه، ونبين الجذور الحقيقية للشّعر العربي الحديث، وقبل الخوض في ثناياه، كان من الأنسب أن تكون الصّدارة لتمهيد يرصد لنا حالة الشعر في عصر الانحطاط، وعندما كان يسبح في ظلام دامس وجاء من مسح الظلام، وهما الأمير عبد القادر ومحمود سامي البارودي اللذان نقلا الأدب إلى أوجّ عطائه، أما على متن البحث فهو موزع إلى ثلاثة فصول، بداية بالفصل الأول المعنون بلمحة تاريخية عن الأمير عبد القادر الجزائري، مهدنا له ببطاقة فنيّة للتعريف بالشّخصية العظيمة والفذة تبين هويته الجزائرية وعروبته وسلالته المنحدرة من المصطفى سيّدنا محمّد صلّى الله عليه وسلم مبيّنين مولده ونشأته وآخر محطة ودّع فيها الحياة، وانتقلنا إلى المبحث الثاني الذي اقتصر على الساحة الثورية مبينين فيه مبايعته ثم فكره وقيادته للثورة الجزائرية, مرورا بالمبحث الثالث الذي تناولنا فيه ريادة الّشعر العربي الحديث على يده، وأدرجنا خلاله السّمات التي جعلته رائدا للشّعر العربي الحديث، مبرهنين بشاعريته، مبينين مختلف الأغراض الشعرية، ومستدلين بنثر الأمير وختمنا هذا المبحث بآثاره الشعرية والنثرية .

وبعد ذلك انتقلنا في مسيرتنا البحثية إلى الفصل الثاني، التي لم تكن مغايرة للفصل الأول بما أنها موازنة بين شّاعرين،بداية ببطاقة تعريف للبارودي فخطونا خطوة أخرى نحو علاقة البارودي بالثورة المصرية، مدرجين عمله في الساحة السياسية ودوره كضابط فيها كما تضمن هذا الفصل مبحثا ثالثا بيّنا من خلاله أن البارودي يعد من روّاد الشعر العربي الحديث، مبيّنين شاعريته وأغراضه الشّعرية ومسيرته الشعرية بين التقليد والتجديد، خاتمين بذلك هذا الفصل بمبحث يتمثل في نثر البارودي وآثاره .وقمنا بفصل ثالث يجمع أوجه التشابه بين الأمير عبد القادر ومحمود سامي البارودي ويبين نقاط الاختلاف بينهما.واتّخذنا نموذجين لكلا الشاعران يكشفان عن البنية الشكلية والمضمونية لقصائدهما.

واعتمادا على ما سبق وصلنا إلى الأسبقية في ريادة الشعر العربي الحديث وختمنا هذا الفصل بفرضية التأثير والتأثر. وقد تطرقنا في الأخير إلى أهم النتائج التي تمخضت عنها هذه الدراسة وضمنّاها بخاتمة محاولين الإجابة عن الإشكالية السالفة الذكر.

أما عن المنهج المعتمد في هذه الدراسة فهو المنهج التقابلي الذي اقتضته طبيعة الموضوع، والذي استطاع أن يكشف أوجه التشابه والاختلاف لاحقين بذلك إلى نتيجة منطقية عقلية تبين لنا الرأي الأصوب .

كما تجدر الإشارة إلى ما واجهناه من صعوبات في جمع شتات هذا الموضوع، لأننا لم نعثر على موازنة سابقة، ولقد وجدنا دراسات سابقة مختلفة حولهما، إلا أن الموازنة بينهما لم تكن من قبل.

ومن بين الصعوبات عدم إمكانية التنسيق بين عدد صفحات الفصول وذلك لأن طبيعة الموضوع تستدعي ذلك وهذا أمر منطقي لأن الأمير عبد القادر، كان متصوفا، فخصصنا عنصرا لتصوفه عكس البارودي الذي لم يكتب عن التصوف، زد إلى ذلك فكر الأمير الشّاسع مقارنة بالبارودي.

وفي بحثنا هذا اتخذنا بعضا من المصادر والمراجع كمعين،وجلنا في تاريخ كتب الأدب العربي فرصدنا مختلف الآراء حول الشخصيتين محلّلين وشارحين، ومستدلين لكل ذلك، ونذكر منها على سبيل المثال بالدرجة الأولى الدّواوين لكليهما، ومحمد بنيس مدارس الشعر العربي الحديث, وفؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا، ومحمد بشير بويجرة،الأمير عبد القادر رائد الشعر العربي الحديث، إلى غيرها من الكتب التي لا تقل شأنا عن التي ذكرت ونرجوا من الله تعالى أن نكون قد حققنا ما خططنا له منجزين الفائدة وعموم المعرفة وزيادة في الرصيد الأدب الجزائري خاصة الأدب العربي عامة .

فنحمده وله الشكر أولا سبحانه وتعالى مقدّرين للأستاذ المشرف الذي غمرنا بنصائحه وسعة خاطره وصدره الرحب لنا فكان نعم الموجه وحسن المرشد، ويبقى شرفا عظيما وقدوة لنا الأستاذ والكاتب دردوخ الزبير عبد الحميد، وشاعر المليون،الملقب بفتى الأوراس.

الفصـــل الأول

لمحة تاريخية عن الأمير عبد القادر

تمهـــــيد

I. ترجمة الأمير عبد القادر

1. نسبه
2. مولده و نشأته
3. مرضه ووفاته

II. الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري

1) بيعته بالإمارة
2) فكر الأمير
3) الأمير قائد الثورة الجزائرية

III. الأمير عبد رائد الشعر العربي الحديث

1) الأمير شاعرا (شعر المقاومة و النضال)
أغراضه الشعرية
2) الأمير بين الأصالة و التجديد

IV. نثر الأمير و آثاره

1) الأمير ناثرا
2) آثاره

تمهيـد

شهد الأدب العربي قبل العصر الحديث تغيّرا جذريا، حيث أنّه كان يغطّ في ظلام دامس سكن إلى سبات عميق لم يعكس الحياة وأوضاعها وما يحيط بها، ولم يصوّر آلام النّفس العربية وأوجاعها ولم يربط بين الحياة والنّاس والطبيعة وما يدور حولها.

تميّز الشعر بركاكة الأسلوب وهشاشة المعنى والتصنع وإلباس الشعر حلة المحسنات البديعية في أتفه الأغراض وهزالة المعاني ووصل إلى درجة إقحام ومزج الدخيل والعامي في نظم القصائد مما ملأ الألفاظ انحطاطا في فصاحتها وبلاغتها وهذا كله كان نتيجة أسباب ودوافع كانت وراء ها عدم التدعيم سواء كان معنويا أو ماديا من قبل الأمراء وأتباعهم، إذ لم يجد الشعراء صدا لأشعارهم، ولا قلوبا واعية تستقبل معارفهم، ولا صدرا يرحب لنهضة أدبية مزدهرة، فلم يجد الشعر وقودا يدفع عجلته نحو التنمية ولا محركّا يقّوي إمبراطوريته ومما زاد الوضع سوءا، الفقر المرض،الجهل الذي أثّر تأثيرا شديدا في جلساء الشّعر و تعطّل حركته.

وصبغت حركة الشّعر بالوهن وبالخيال الواهم والصورة الشّعرية الباهتة، واكتسى الشّعر حلة البديهيات والألغاز والتاريخ الشّعري الذي فتح الطريق إلى الوهم.

وذلك الحال شهده محمّد علي ومن بعده إلى إسماعيل، والإصلاح كان في المجال العسكري المادي، ولم يكن أديبا فكريا فلم تجد نفعا إلاّ في مجالس، وقد سجّلت هذه الميزة كظاهرة اجتماعية جديدة في الشّعر العربي بسجّل الشعراء، وذلك من خلال الأعمال والمنشآت..[1]

شهد الشعر في عهد إسماعيل استفاقة من سباته العميق وبدء ينهض من كبوته، وكانت وراء ذلك أسباب في رقي الشعر منها، إعادة بعث الضمير واستنهاض الوعي وتمرس الأدباء والشعراء والتعمق في التعبير ووعي المعاني وإبراز فصاحتها وبلاغتها،كما ساهمت البعثات العلمية مساهمة فعّالة في رعاية الشعر ورفع شأنه وجلب معارف الغرب، كما أفادت الصحف والمجلاّت ودار الكتب المصرية في نظم الأفكار والأخيلة.

هذا كله أدّى إلى تهذيب أذواق الأدباء والشعراء. وكانت الحياة الأدبية تتراوح بين الانحطاط والنهوض حتى برز رائدها الأمير عبد القادر الجزائري الذي يعدّ منعرجا حاسما في تاريخ الشعر العربي الحديث والذي أيقض الشعر من نومه العميق و رفع الشعر بعد ما كان في الدرك الأسفل وجعله ينهض ويرتقي حتى بلغ المعالي بقدرته القوية الفنية والأدبية.

---

[1] – محمّد عبد المنعم خفاجي، مداس الشّعر الحديث، دار الوفاء،دنيا الطباعة و النشر، ط1، 2004، ص11، بالتصرف.

وإن كان من رواد الحركة الأدبية الحديثة في المشرق العربي محمود سامي البارودي (1838-1904) فانّ الأمير عبد القادر يعتبر من روّادها في المغرب العربي عموما وفي الجزائر خصوصا.

فهما معا يمثّلان مدرسة الإحياء والتجديد، و قد اشتركا في بطولة الشعر والحرب، فكل منهما خاض المعارك في ميدان القتال كما عانى كلاهما المنفى، والغربة، فقضى البارودي 17 عاما منفيا في جزيرة سرنديب لاشتراكه في الثورة العرابية، كما عانى الأمير المنفى في فرنسا والغربة في بروسة ثمّ دمشق بعد الغدر به إثر استسلامه عندما فقد الساعد والمعاضد كما قال.

كلا الرجلين في الأخير- مع بعض الاختلاف – متصل بالتراث الأدبي العربي عموما والشعري خصوصا في عصوره الزاهية، يستوحيانه ويستمدانه في الإنشاد مع روح تجديدية متوثبة فكرة وشعورا وطريقة، فكل منهما شدا في وطنه .

I. ترجمة عن الأمير عبد القادر:

1) نسبه:

<< هو عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى بن محمّد بن المختار بن عبد القادر بن أحمد المختار بن عبد القادر بن خدّة، بن أحمد بن محمد، بن عبد القوي بن علي، بن أحمد، بن عبد القوي،بن خالد، بن يوسف، بن أحمد، بن بشار، بن أحمد بن محمّد، بن مسعود، بن طاووس ابن يعقوب عبد القوي، بن أحمد، ابن محمّد، بن إدريس،بن عبد اللّه، بن الحسن المثنى، بن الحسن السبط، بن فاطمة الزهراء، بنت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلّم.>> [1] و هو من سلالة علي بن أبي طالب.

2) مولده و نشأته:

ولد الأمير يوم الجمعة في ثلاثة وعشرين من رجب سنة 1222هـ، الموافق لسنة 1807م، في قرية القيطنة غربي مدينة معسكر من بلاد الجزائر.[2]

تربى السيّد الجليل، العارف، النبيل، الناسك العامل، الزاهد، المتورع[3]، في حجر والده فكان بذلك موضع اهتمامه وعطفه الخاص.

وفي الرابعة من عمره إلتحق بمدرسة والده في القيطنة وكان الأمير يقرأ ويكتب وهو في الخامسة من عمره، وتمكن في مدّة وجيزة من اكتساب جانب عظيم من العلم، وحفظ القرآن حفظا جيّدا وكان على حداثة سنّه يدرك مدارك الرّجال برؤية نادرة المثال. وأصبح الأمير طالبا في عداد طلبة الفقه وأصوله على يد والده عمدة المحقّقية وعن غيره من علماء بلده، وبعد سنتين تحصّل على تسمية حافظ ويعني ذلك أنّه أصبح يستطيع ترتيل القرآن عن ظهر قلب في الجوامع والاحتفالات وعندما بلغ أربع عشرة سنة، أرسله والده إلى مدرسة وهران التي كانت بإشراف أحمد بن خوجة، فبقية فيها سنتين يتعلم العلوم العربية والدينية، فطالع كتب الفلاسفة، و تعلم أصول الشّرعية على يد أستاذه " أحمد بن طاهر البطيري" قاضي أرزيو الذي علّمه إضافة إلى ذلك الرياضيات والجغرافيا والتاريخ.

---

[1] – صيام زكريا، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون، الجزائر، ص13.

[2] – فؤاد صالح السيّد، الأمير عبد القادر الجزائري متصوّفا و شاعرا، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1985، ص29.

[3] – عبد المجيد يبرم، مذكرات الأمير عبد القادر، شركة دار الأمة للنشر، د ط، 2007، ص46.

وبعد عامين عاد إلى القيطنة، وبدأ يلقي دروسا في جامع الأسرة حيث كان يعقب ويفسّر أصعب الآيات والشواهد وأعمقها.

اشتهر في السّابعة عشر من عمره بشدّة البأس، وقوة البدن والفروسية، حتّى كان يشار إليه بالبنان بين الفرسان لمهارته في ركوب الخيل واللّعب على ظهورها، واستطاع أيضا أن ينظّم الشّعر، وهو دون العشرين، ولم يسبق له أن تعلّم موازين الشّعر ومقاييسه، ولا سبق له أن تلقى أصوله و مبادئه على يد أستاذ خبير في فن الشّعر، فجمع بذلك بين السّيف والقلم.

وفي ربيع الثاني 1241 هـ عام 1825م، قام الأمير عبد القادر ووالده محي الدين، بأداء فريضة الحجّ، فكانت هذه الرحلة للتّعرف على الأوضاع في عدة بلدان عربية، خلال سنتين كتونس ومصر والعراق وسوريا وليبيا.

ثمّ عاد إلى القيطنة سنة 1825، وبعد دخول فرنسا إلى الجزائر قاوم الأمير الاحتلال بعدما تمّت مبايعته من قبل قسم كبير من الغرب الجزائري يوم 28 نوفمبر 1832م.

استمرّ الجهاد خمسة عشرة سنة، اضطر الأمير في نهايتها إلى التسليم بعدما غدره الخونة وعملاء فرنسا وقد اتخذ من دمشق مقاما له.[1]

3) مرضه و وفاته:

تعالت صيحات الكثير من الأصدقاء والأحبة حول وفاة الأمير عبد القادر عبر برقيات التعازي وقصائد التأبين والرثاء وهو لازال على قيد الحياة يسمع بها، فنشرت الصحافة إشاعة نبأ وفاته سنة 1296هـ فردّ صوته الحي عليهم قائلا [2]<<إنّ الموت لابد منه عند نهاية الأجل والحمد للّه الذي أراني وأسمعني ما يقال في جانبي من الخير بعدي وهذا نادر الوقوع وغريب الاتفاق>>.[3]

في هذا القول يبيّن الأمير أنّ الموت سنّة اللّه في الحياة، حامدا وشاكرا له لمعايشته موقف النّاس بعد موته، وهو حي يرزق، والذي لا يختلف اثنان عن شرفه قيمته وخيره وكل أعماله الصالحة.

تمتّع الأمير بصحة جيّدة في شبابه على عكس آخر أيام حياته التي أصيب فيها بمرض تراوح بين الشدّة والخفّة حتّى خطفه إلى الرفيق الأعلى، وذلك في منتصف ليلة السبت 19 رجب

---

[1] – فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر الجزائري متصوّفا و شاعرا ، ص32، بتصرف.

[2] – صيام زكريا، ديوان الأمير عبد القادر، ص 55، بتصرف.

[3] – المرجع نفسه ص55–صيام زكريا ديوان الأمير عبد القادر

عام 1300 هـ الموافق 24 مايو 1883م، في قصره بمصيف عن عمر يناهز 76 عاما، تاركا وراءه إرثا عظيما في خدمة الجزائر والأمة العربية جمعاء. ونقل جثمانه إلى داره بدمشق، ودفن إلى جانب محي الدين المغربي وبعد استقلال الجزائر نقل جثمانه 1965م إلى مقبرة العالية إلى جانب محمّد بوضياف. [1]

لم يترك الأمير بابا لم يطرقه فقد نبغ في الفقه وعلم الكلام والشّعر ومن أشهر آثاره كتاب المرافق في التصوّف ورسالة، ذكرى العاقل وتنبيه الغافل وديوانه الشعري. ويعد شعره مرآة عاكسة لدراسته الفقهية والكلامية.

ومن أبرز صفاته حبه للفطرة و البعد عن الزخرف والميل إلى التصوّف والتعصّب. [2]

[1] – يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر، رائد الكفاح الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر،د ط، ص69، بتصرف.

[2] – أحمد محمد المختر، في الدب والنصوص والنقد والتراجم الأدبية، مصلحة الطباعة للمعهد التربوي الوطني، الجزائر، ص63، بتصرف.

II. الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري:

1) بيعته بالأمارة :

ولمّا تفاقم الأمر على شعب الجزائر، وتكدرت الحالة في البلاد وساء الوضع السياسي فيها، ودق ناقوس الخطر، اشتدت الحاجة إلى رجل يقود الجهاد، ويخلص المسلمين من ربقة الغاصب الفرنسي، فاجتمع الأشراف والعلماء والأعيان، وفكّر أهالي الايالة الوهرانية وعلماؤها في الأمر، وتداولوا الحديث حول الشخصية التي يسندون إليها أمور البلاد ويبايعونها بالأمارة عليهم لتخليصهم من شرّ الاحتلال، ويرد عنهم العدّو الغاصب، ولتعيد الأمن والراحة والاطمئنان والرخاء للبلاد والعباد.

ولم يكن من يستحق هذا الأمر العظيم، غير أسرة الأمير وعلى رأسها والده الموقّر محي الدين، وقدموا عليه وألزموه أن يقبل بيعتهم على الإمارة فأمعن النظر في الأمر واعتذر عن القبول لأسباب منها كبر السن، والعجز عن النهوض بأعباء الإمارة، وقدم لهم ابنه عبد القادر لما أنس فيه من مقومات القيادة والصلاح وعلو الهمة.

وفي الثالث من رجب 1248هـ الموافق 27 نوفمبر 1832م اتّجه حشد من العلماء ووجوه البلاد إلى وادي فروحة واجتمعوا في شجرة الدرداء وهنا تمّت مبايعة الأمير من قبل أقاربه وذويه، ولقبه أبوه محي الدين <<ناصر الدين>>. وقد تمت المبايعة تحت تلك الشجرة دلالة على اقتدائهم بسنة النبي صلى اللّه عليه وسلم في بيعة الرضوان تحت الشجرة التي تمّ ذكرها في القرآن الكريم.

وقد قال في خطابه للعروش بعد بيعتهم له <<... و قد قبلت بيعتهم و طاعتهم كما أني قبلت هذا المنصب مع عدم ميلي إليه، مؤملا أن يكون واسطة لجمع كلمة المسلمين ورفع النزاع والخصام من بينهم، وتأمين السبل ومنع الأعمال المنافية للشّريعة المطهّرة، وحماية البلاد من العدّو، وإجراء الحق والعدل نحو القوي والضعيف...>> [1]

وكان يحرص على تحديث الجيش وأدواته الحربية وشعر بحاجة إلى المواقع الإستراتيجية إلى تحصين، فشيّد حصونا أشهرها <<تاكدمت>> سعيدة سابدو، بوقار، ساباو عريب، بوخرشفه طازة >> [2]

---

[1] – صيام زكريا، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، ص15، بتصرف.

[2] – المصدر نفسه، ص23.

وكما يقول هنري تشرشل <<و بذلك يعتبر الأمير أوّل من كوّن جيشا وطنيا منظّما وموحّدا بناه من العدم، وهيأ له الوسائل وأنشأ له المصانع تنتج الأسلحة الملائمة، مستعينا بخبرة الأسبانيين والفرنسيين وغيرهم >>. [1]

ومن ميزات الأمير التي تحدث عنها هنري تشرشل قوله <<وقد امتاز الأمير بكونه الشخص الدءوب الذي لا يضيع فرصة أو مناسبة، كان يستغل الاتفاقيات التي يعقدها مع الفرنسيين لدعم استعداده العسكري ...تمتاز مقاومة الأمير بمفهومها الواسع وأبعادها المستقبلية لأنّها لم تقتصر على تعبئة المواطن لرد العدوان، أو للقيام بمناوشات هنا وهناك ضد العدّو، بل وسّع مجالات المقاومة...ومن هذه المجالات :الإدارة، الثقافة، التكوين العقائدي والعسكري... الخ وبذلك عرفت الجزائر في شخصه مقاوما عنيدا ومحاربا شهما ومنظّما بارعا، و دبلوماسيا محنّكا ومثقفا غزير المعارف>>.[2]

ومن الصعب التطرق إلى كل جوانب العظمة لدى الأمير وإنّما نكتفي بجانب الجهاد الذي أبلى فيه البلاء الحسن، لأنّ الجزائريين لم يبايعوه لانتسابه إلى أسرة معروفة، أو لثقافته الواسعة أو من أجل تكوين دولة أو تنظيم إدارة، وإنشاء جيش بقدر ما اختاروه وبايعوه من اجل الجهاد.

ومن أهمّ ميزات الأمير أنّه المقاوم الوحيد طوال فترة المقاومة كلّها، الذي ربط الجهاد وتحرير الأرض بمبدأين ضحى في سبيلهما وهما :وحدة التراب الوطني، السيادة الوطنية الجزائرية.

2) فكر الأمير :

سخّر الأمير حياته لخدمة الوطن والفكر والإسلام حيث زرع بذور الكفاح، رافعا راية الإسلام، شامخة في قمة أبراج الجزائر مستجيبة لصدى هتافات اللّه أكبر.

لقّب الأمير عبد القادر بأمير المؤمنين ناصر الدين محي الدين من طرف الوطن وحتّى من طرف الأعداء، فقد قفز الأمير قفزة عملاقة في بناء دولته 1832م. وأوّل خطوة قام بها تمثّلت في كتابة دستور لها على هدى القرآن الذي اتخذته الإمبراطورية العثمانية نظاما لها. وجعل دولته تتمتّع بالاستقلالية بنظام دولة موحّدة حديثة ولم يخرج عن إرادة الخليفة العثماني، فقد كان مشيّدا ومبيّنا الطريق السليم لنجاة الإنسانية في الدارين الفناء والبقاء والخلود، مقرّا ومؤكّدا ومقنعا بأن الشريعة الإسلامية هي نظام متكامل يصلح لكل زمان ومكان واضحة المعالم والتّي سخّر اللّه

[1] – محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية 1830– 1954، هدية من وزارة المجاهدين، د ط، ص ، ص47.

[2] – المرجع نفسه –ص48.

فيها النور.مصداقا لقوله تعالى :<<الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج النّاس من الظلمات إلى النّور بأذن ربّهم إلى صراط العزيز الحميد>>.[1]

3) الأمير قائد الثورة الجزائرية :

يعتبر الأمير من كبار رجال الدولة الجزائريين في التاريخ المعاصر، فهو مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة ورائد مقاومتها ضدّ الاستعمار الفرنسي بين 1830 و 1847، واشتهر بنزعته البطولية والحماسية والنضالية ضد الغزو الفرنسي لأرض الوطن، فعرفه أهل الجزائر مناضلا وطنيا وبطلا صنديدا، ومقاتلا شجاعا، قاوم الجيوش الفرنسية النظامية المدرّبة أحسن تدريب والمجهّزة بأحدث وسائل التجهيز العسكري والحربي. فأظهر صلابة وخبرة عسكرية. [2]

<< فأراد الأمير إنشاء جيش نظامي يواجه به العدوّ الفرنسي، فاستفاد من خبرة المدربين الأجانب الذين استخدمهم لتدريب جنوده، كالهاربين من الجيش الفرنسي، كما استفاد ممن خدموا في صفوف الجيشين المصري والتونسي من المسلمين، ليخرج مدربين من أبناء وطنه فقسم جيشه إلى ثلاثة أصناف، الفرسان، المشاة، المد فعيون. اعتنى بصفة خاصة بالخروج من دائرة التطوّع الفوضوي إلى دائرة التجنيد المنظّم، كما تحدث عنها هنري تشرشل<<وكانت قوات عبد القادر غير النظامية، خلال الفترة الأولى من عمله، قد بلغت حوالي ستين ألف جندي، وكان هذا العدد يشمل جميع الوحدات التي كانت تمدّه في حالة الطوارئ...>> [3]

أنشأ لجيشه مصانع تنتج الأسلحة لتزويده بما يحتاجه منها فضلا عن معامل الذخيرة، فبعد أن شيّد حصن " تاكدمت" أقام فيه صناعة البوار يد وحرباتها والسّيوف وغيرها من أدوات الحرب ومهماتها.

كما بنى في كل من معسكر، مليانة،المدية، مصانع للأسلحة، ومعامل البارود والرّصاص، وأنشأ مصنع المدافع بتلمسان.

أ الأمير في المعارك :

ومن بين المعارك التي خاضها الأمير والتي زادت من سمعته وشهرته والتي قرّر فيها "تريزل" الهجوم عليه معتقدا أنّه قد أنهكه التصدّي لبعض العشائر والزعماء الخونة، والمنطقة التي

---

[1] – الأميرة بديعة الحسني الجزائري،الأمير عبد القادر، حقائق ووثائق بين الحقيقة و التعريف، دار المعرفة، ط2، ص64، بتصرف.

[2] – فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا و شاعرا، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص09 ، بتصرف.

[3] – محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية، هدية من وزارة المجاهدين،د ط، ص 46 .

اختارها "تريزل" للهجوم على الأمير منطقة سيق كمكان للهجوم عليه، والتي يعرفها الأمير وجنده معرفة جيّدة، وهذا ما دفعه إلى السّماح لتريزل بالتنقّل كما يشاء هو وجنوده، مكتفيا بمراقبة تحركاتهم، وفي الوقت الذي كان يعدّ تكتيكا لاصطياد تريزل و تطويقه، وفعلا لحق جيش تريزل هزيمة ثقيلة قضت على ربع جيشه، وقضت على سمعته كقائد حين وصل جيوشه إلى الحميان والمستنقعات المقطع، والتي سمّاها الفرنسيون فيما بعد "مأساة المقطع" [1]

وكما تعتبر أيضا معركة" سيدي إبراهيم" من أهمّ المعارك التي خاضها الأمير في آخر عهده. إذ بعدها بدأت نهاية الأمير السّيفية كمقاوم صلب شهم شجاع بحيث كان صامدا حوالي 17 عاما، وفي الأخير وجد نفسه في مواجهة جيش منظّم يفوقه عددا وعدة.

والذي عزّ في نفسه كثيرا وقضى على معنوياته هو تصرف السلطان المغربي الذي لم يقبل لجوءه إلى المغرب. بعد أن سدّت جميع الأبواب في وجهه، جمع مساعديه واستشارهم وفي الختام قال لهم:<<لا أرى إلاّ التسليم لقضاء اللّه والرّضا به، وقد أجهدت نفسي في الذّب عن الدين والبلاد وبذلت وسعي لراحة الحاضر منها والباد، و ذلك من حين اهتزّ غصن شبابي وافترّ عن شباه الهند نابي، وأقمت على ذلك ما يفيق على سبع عشرة عاما، أقتحم المعارك وأملأ بالجيوش الخرارة والمسالك. أستحقر العدوّ على كثرته واستسهل استصعابه، وأتوغّل غير خائف أوديته وشعابه، أرتّب له في طريقه الرصائد، وأنصب له المكائد والمصائد، و تارة انقضّ عليه انقضاض الجارح... فسبحان من لا يكيده كائد، ولا يبيد ملكه، وكل شيء بائد>>. [2]

ب- – نهاية سيرته السيفية:

استحكمت العداوة بينه وبين صاحب المغرب، لاسيما بعد أن بلغ الأخير ما لحق بالأمير من ضعف وقلّة في العدد والعدة، فجهّز ولديه محمّد وأحمد في خمسين ألف مقاتل.فنزلا بجيشهما في قلعة "سلوان" فرأى الأمير أن يبادرهما في الهجوم فاستعان بمكيدة لإرهاب عدوهم، بأن يحضروا له جملين فشّد على كل منهما حزمة من "الحلفاء" بعد أن طلاهما بالقطران وأمر أن يكون أيقاد النّار في الحزمتين، مقترنا بالهجوم على العدّو. وأمر بتقديم الجملين أمام الجيش ثمّ أضرمت النّار حزمتين، فما راع العدّو إلاّ مشاعل النّار تجول في صفوفهم، وأمطار الرصاص تتنزّل عليهم من كل جانب. فلم يسعهم إلاّ الفرار. عاد الأمير بجيشه محققا نصرا كبيرا وملحقا هزيمة نكراء بصفوف العدّو. إلاّ أنّ هذا الأخير لم يقبل الهزيمة أخذ يعدّ العدّة لملاقاة الأمير ثانية فاتجه حيث يقيم، فالتحم الجيشان في معارك متواصلة. قتل فيها عدد كبير من كلا الطرفين وأصيب فرس

[1] – محمد الطيّب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية 1830–1954، ص50.

[2] – المرجع نفسه، ص57، بتصرف.

الأمير بثمانية طلقات، فتزحزح الأمير عن موقعه. فاجتمع بخاصته و ذويه فقرّ القرار، فكتب إلى الجنرال "لامور سير" قائد الجيوش الفرنسية يعلن له قرار التسليم . فاستسلم الأمير في 23 من كانون الأوّل عام 1847م وكان ذلك على شروط منها أن يحملوه وأسرته إلى مكة أو الإسكندرية. [1]

قبل الجنرال "لامور سير" بشروط الأمير دون تردد وفي 25 من كانون الأوّل سنة 1847 توجه الأمير وأتباعه إلى طولون.

<<وبتسليم سيفه انتهت سيرته السيفية وبارتجاله عن أرض الجزائر بدأت سيرته الأدبية.>> [2]

كأنّهم ما داروا ماذا يريد بهم عدّو دينـهم لأنال إمكانا

موتوا كراما إنّ الحرّ يأنف من معيشة نرع الحليم حيـرانا

لا موت أشرق من موت الجهاد يرجوا من اللّه رحمة وإخوانا [3]

ففي هذه الأبيات يدعوا الأمير أبناء وطنه إلى الجهاد و اليقظة من السّبات الذي هم فيه، كذلك الموت في سبيل اللّه أفضل من العيش أذلاء، ويطلب من اللّه الرّحمة و الغفران.

كذلك تتجلّى عظمة الأمير في واقعيته، وكونه المناضل، والبطولي الذي يضع بطولته في طليعة الجيش إذ يقول:

أمير إذا كان جيشـي مقبـلا وموقد الحرب إذ لم يكن له صال

إذا ما لقيت الخيـل إنيّ الأوّل وإن جال أصحابي فانّي لها تال [4]

وبذلك يعد الأمير عبد القادر، أمير السيف والقلم، وقد كان شعره أكثر متانة من شعر معاصريه لثقافته الدينية والفقهية، فقد تغنّى بشجاعة جنوده في الجهاد بأسلوب ملحمي يشبه وصف عنترة بن شدّاد لإحدى معاركه إذ يقول:

وألذّ شيء عندهم لحم العدى ودماءهم كزلزال عذب الممهل

والنازلون بكل ضنك ضيـق رغما على الأعداء بغير تهول

لا يعرف الشكوى صغير منهم أبدا ولا البلوى إذا ما يصطلي[5]

---

[1] – صيام زكريا، ديوان الأمير عبد القادر، ص ص، 37، 38.

[2] – فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا و شاعرا، ص58.

[3] – صيام زكريا، ديوان الأمير عبد القادر، ص39.

[4] – المصدر نفسه ، ص33.

[5] – المصدر نفسه ، ص128.

ففي هذه الأبيات الأمير يبث إلى جيوشه التشجع على بسالتهم وصبرهم وشجاعتهم في صد العدو بكل قوّة و حماس إذ أنهم، لا يعرفون الشكوى ولا الملل، ولا الضجر من خدمة بلدهم وحماية وطنهم.

فأوّل قصيدة دوّنت له كانت في تمجيد شهداء معركة "خنق النطاح" فقال فيها:

ألم تر في خنق النطاح، تطاحنّا غداة التقينا، كم شجاع لهم لوى

وكم هامة، ذاك النهار قدرتها بحدّ حسامي والقناطعة شوى

جـ- الأمير و الأسر:

أرست البارجة التي ركب فيها الأمير في مرسى طولون بفرنسا، في 24 محرّم 1264 هـ الأوّل من يناير 1848م، وكان مترجم الأمير قد أخبره أنّ البارجة تمر بهذا المرسى مرورا، فبينما كان الأمير ينتظر إقلاعها لتكمل رحلتها إلى الشرق دخل عليه حاكم مدينة "طولون" وأخبره بأنّه مأمور باصطحابه إلى برج "لاملاك" حتّى يأتي الأمر من باريس ويتسنّى للسلطة الاتصال بالدولة العثمانية من أجل استقباله، وبعدئذ جاءه الكولونيل "دوماس" ليخبره بأنّه معيّن من قبل الملك للإقامة معه، حيث رفضت كافة الأوساط الفرنسية سفره إلى الشّرق ولهذا يعتذر الملك عن عدم الوفاء بالتعّهد. ثمّ عرض عليه رغبة الملك بأن يتخذ من فرنسا مقرّا له، ويسمح لذويه بالإقامة معه، فأجابه الأمير قائلا:<<إنيّ لا أقبل هذا، ولو فرشت لي سهول فرنسا ومسالكها بالديباج، وها أنا بين أيديكم فافعلوا ما بدا لكم، ولا يمكن أن أترك طلب الوفاء بالعهد، ما دمت حيّا، ومن عجيب ما يسمع:<< أنّني أرى نفسي ضيفكم فجعلتموني أسيركم. وأخذتم تعددون علي أمورا قمت بواجبها ذبّا، عن ديني وحماية لبلادي، ولازال التفاخر بها، وبأمثالها قديما وحديثا، فإنّ القيام بها دليل على كمال الرجولية، والعدول عنها برهان على ظرف الإنسانية>>.

في 27 جمادى الأولى -21 من أبريل من العام نفسه، بدأت مرحلة أخرى من مراحل أسر الأمير في فرنسا، حين نقل إلى مدينة "بو" وأسكن بأحد قصور ملوكهم، إلاّ أنّ السلطة خشيت من مخابرات الانجليز أن تقوم باختطافه فقرّرت نقله إلى مدينة"أمبواز" وهناك استقرّ به الأمر أربع سنوات. ورحل إلى الشرق براتب من الحكومة الفرنسية . توقّف في "اسطنبول" حيث "السلطان عبد المجيد"، والتقى فيها بسفراء الدول الأجنبية، ثمّ استقرّ به المقام بـ "دمشق" منذ عام 1956. وفيها مكانة بين الوجهاء والعلماء، وقام بالتدريس في المسجد الأموي، كما قام بالتدريس قبل ذلك بالمدرسة الأشرفية وفي المدرسة الحقيقية.[1]

[1] – صيام زكريا،.ديوان الأمير عبد القادر، ص42.

III- الأمير عبد القادر رائد الشعر الحديث:

1) الأمير شاعرا:

تفتحت براعم طفولة الأمير عبد القادر في أحضان الطبيعة التى جعلت منه شاعرا، فقال أحد الأدباء:<<إنّ العظمة كالشّمس تكسف ما عداها، والعبقرية كالضياء تعمر كل شيء سواها فأنت إذا رأيت رجلا عظيما في البطولة نسيت أنّه أديب، وإذا قرأت لشاعر، سها عن بالك أنّه محارب شجاع، والأمير عبد القادر كان هؤلاء جميعا، لقد قطّر حياته شعرا وأحاسيسا ومشاعر>>[1]

لقد نظّم الأمير عبد القادر في شبابه شعرا، لكن للأسف قد ضاع معظمه وذلك لعدة أسباب منها: انهماكه في بناء دولته وحربه ضّد المستعمر الفرنسي من جهة، استيلاء العدّو على مكتبة بيته في الزّمالة[2] التي أودع فيها مذكراته الخاصة.

وهكذا يستقيم لنا الرأي في أنّ الضياع وقع فيما نظّمه أثناء شبابه، وبالذات في حياته السّيفية. وفي هذا الصدد عالج "الدكتور ناصر" في منتخباته هذه المسألة :<<بدأ الأمير عبد القادر كتابة الشعر شابا، كما تدل على ذلك وثيقة البيعة الأولى التي تصفه بالشّاعر الناثر، وقد دأب على كتابة الشّعر إلى أخريات أيام حياته، ولم ينصرف عنه في كل حالاته، سواء في مرحلة المقاومة والجهاد في الجزائر أم في مرحلة الإعتقال بفرنسا، أم في مرحلة الاستقرار في الشّم ومن المؤسف أن يكون القسم الأوّل من شعره من شعره قد ضاع أغلبه، ويغلب على الظّن أنّه ضاع خلال هجوم الفرنسيين على الزّمالة، واستيلاءهم على مكتبة الأمير وأوراقه الخاصة >> [3]

وفوق هذا كلّه أن يكون أروع شعره مما قاله زمان الحرب والثّورة جاء على أشدّ ما يكون في القوّة والمعنى ومتانة الأسلوب فقد صوّر واقع البلاد والشعب وأعطى لنا صورة واضحة قويّة عن شخصيته، وبسالته، وبسالة جيشه الفتي. كما جسّم الوقائع الحربية بمظاهرها المهولة، في:

---

[1] – الأميرة بديعة الحسني الجزائري، فكر الأمير عبد القادر الجزائري، حقائق ووثائق، دار الفكر، ط1، دمشق 2000م، ص325.

[2] – الزمّالة: عبارة عن مدينة متنقلة اتخذها الأمير عاصمة له في المرحلة الأخيرة من حروبه مع الفرنسيين بعد أن أصبحت بلاد الجزائر برمتها ميدانا للحرب.

[3] – محمد ناصر، منتخبات من شعر الأمير،ع،ق. الأميرة بديعة الحسني الجزائري، فكر الأمير عبد القادر الجزائري، حقائق ووثائق، ص327.

2) شعر المقاومة والنضال:

سنحاول الآن أن نبيّن كيف ظهرت شخصية الشّاعر وكيف قاوم المستعمر الفرنسي بلسانه الفصيح و شعره النّضالي.

إنّ نضال الأمير عبد القادر هو جهاد محارب، رجل دولة في وجه المدّ الأجنبي، وكان إقباله وإدباره في انتصاره وانهزامه نذيرا للإستعمار ومهدا للثورة الكبرى. [1]

كما أنّه كان فارسا حقّا، إذ أنّه لم يقنع بفروسية عاطلة من حلاها. فطلب لها جمالها في الشّعر، وحلاها بالقصيد، فنجده في بيت له يشيد بأعماله البطولية ويقول أنّه من استغاث به فانّه يلي النّداء دون كلل أو ملل، وأنّ السّروج لا تنزع عن الخيول[2] فيقول الأمير عبد القادر:

فخيلنا دائمة الحرب مسرجة من استغاث بنا بشّره بالظفر [3]

كان الشّعر بالنسبة للأمير عبد القادر الطريقة الأفضل والأسمى إلى الدّعوة للمقاومة وترسيخ علاقة الإنسان بأرضه وتراثه، وبذلك كثرة دعوات هذا الشّاعر البطل، الجزائري الغيور على بلاده للقتال في سبيل الوطن [4] نجده يقول :

مالي أرى جفن أهل الغرب وسنانا من بعد ما أخذ الرومي تلمسانا [5]

واستقرّ تحتي كلّمته رماحه مرارا ولا ولم يشك الجوى وما التوى [6]

ففي هذه الأبيات يفتخر ويمجّد ببطولاته، ويبرز البطولات التي خاضها في مكان يدعى "خنق النطاح" وأنّه سلول السّيوف في كلّ معركة وأسالوا دماء العدّو.

إنها تجربة فريدة في تاريخ المقاومة الوطنية أن نجد مجاهدا شاعرا وشاعرا مجاهدا، فالأمير يمثل شخصية المثقف الأديب المجاهد، فهو شخصية نادرة تستحق الثناء.

ويعدّ الأمير بطلا قوميا وراسما أوّل لخطط العسكرية لمحاربة الاستعمار.

ونجد له يحثّ فيها شعبه وأبناء وطنه على الجهاد، إذ يقول:

يا ساكني الغرب الجهادا الجهاد فالكفر قد شاركم في البلاد

---

[1] – سلمان نور، الأدب الجزائري في رحاب الرفض و التحرير، دار الملايين،ط1، جانفي 1981،ص168.

[2] – ممدوح حقي .ديوان الأميرعبد القادر، ص39.

[3] – المصدر نفسه، ص 39.

[4] – سلمان نور، الأدب الجزائري في رحاب الرفض و التحرير، ص180.

[5] – ممدوح حقي، ديوان الأمير عبد القادر، ص62.

[6] – الأميرة بديعة الحسني، فكر الأمير عبد القادر، حقائق و وثائق، ص325.

ويا حماة الدين ما صبركم والمشركون يطلبون في البلاد

ما هذه الغفلة عند ضدّكم وأنتم في الحرب أسد البلاد. [1]

ففي هذه الأبيات نجد الأمير يدفع قومه إلى الجهاد، ويدعو النّفوس والمشاعر والعقول كي تفيق من الغفوة كما أنّه يثابر على إيقاض الشعوب دون يأس. كما يحثّ أهل الغرب على قتال العدّو لليقظة والنهوض بوطنهم.

فالأمير أكثر أيامه قضاها في المعارك بين قوقعة السّيوف وتفجر البارود، ورعد المدافع، أو في الأسر كاسف البال، نجده يتغنّى بشجاعته وبسالته والبطش بالعدوان [2] إذ يقول :

إذا همّ ألقى بين عينيه وعزمه ونكب على طرق العواقب جانبا

ولم يستشر في رأيه غير رمحه ولم يرض إلاّ قائم السّيف صاحب [3]

في هذه الأبيات نجد الأمير، عندما يهرع إلى القتال لا يرى، إلى العزم. ولا يترك الحواجز والعوائق يعيقه عن أداء واجبه، وأنّه لا يستشير بذلك أحدا غير رمحه ولن يقبل غير السّيف صديقا له ومرافقا.

3) **أغراضه الشعرية:**

في حقيقة الأمر نجد الأمير طرق كلّ أبواب الشّعر، من مدح وعتاب، وفخر وتوسّل، وشوق وتغزّل وتهنئة ومطاردة. وما إلى ذلك من الأغراض الشّعرية وزيادة على هذا امتاز بشيء آخر هو تصويره الصادق وحالة وطنه في روائع أشعاره وقصائده. ومنها أي من بين أغراضه نذكر:

أ- **شعر الحماسي: (الفخر):** دعا الأمير إلى تعاطي مثل هذا النّوع من الشّعر في حروبه التحريرية وأن نعرف سلفا بأنّه جزء لا يتجزأ من كفاحه الشّريف، ونضاله المستميت، وجهاده المقدس، بالحديد والنّار. وذلك لإدراكه بثاقب بصيرته وعقله الحكيم، بأنّ الشعب ينقاد إلى حكيم القول وأصدق العبارة وأنجح الكلام، أكثر من العصا والسّيف.

وقد انفتح عهد القويض الحماسي بمقصوته الكبرى التّي خظّمها عقب معركة "خنق النطاح " الأولى بأرض وهران وقال فيها:

وإناّ بنو الحرب العوان يهالنا سرور إذا قامت وشانئنا بها عوى

---

[1] – ممدوح حقي. ديوان الأمير عبد القادر،ص95

[2] – محمد الطمّار، تاريخ الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون، ص374.

[3] – ممدوح حقي .ديوان الأمير عبد القادر– ص32.

ويهمنا أن نتعرّض إلى قصائده الحربية بالفصوص لأنّ لها مساسا بشخصيته واتصالا متينا بمواقفه العظيمة، إنسانيته الكريمة وشهرته الفائقة في اقتياد الشعب ومصاولة العدوان إذ يقول في بداية ملكه يفتخر:

فكم من مغارات يضل بها القطا قطعت بها والذئب من حولها عـوى

فإن شئت فعلما تلقني خير عالم وفي الروع أخباري عدد توهن القوى

وكم هامة ذاك النّهار قددتـها بحـدّ حسامي والقنا طعنة شوى [1]

كما نجد الأمير كثيرا ما يفتخر بنفسه في أشعاره عن بطولاته في ساحة الوغى إذ يستمدّ من عنترة ويستوحي المتنبي وينهل من التجارب التي عانها. فقد دخل المعارك بنفسه ومارسها ممارسة الجندي والقائد وجرح فيها مرّة، وقتل فرسه أكثر من مرّة [2] بحيث يقول:

إذا ما لقيت الخيل، فانّي أوّل وإن جال أصحابي فانّي لها تال

سلي اللّيل عنّي كم شققت أديمه على ضامر الجنين عـال[3]

ولم يفتأ يفاخر بنفسه ويعتزّ بشجاعته وإقدامه حتّى عندما يخاطب زوجته وهو يردّد:

أمير إذا ما كان جيشي مقبـلا وموقد نار الحرب إذا لم يكن صالي

إذا ما لقيت الخيل، فانّي أوّل وإن جال أصحابي فانّي لها تال

أدافع عنهم ما يخافون من ردي فيشكر الخلق من حسن أفعالـي

وأورد آيات الطّعان صحيحـة وأصدرها بالرمي تمثال غربـال

ومن عادة السادات بالجيش تحتمي وبي يحتمي جيشي وتحرص أبطالي

وبي تتّقي يوم الطّعان فوارس تخا بينهم في الحرب أمثال أشبالي [4]

ب- الوصف: إذا كان اعتداده بنفسه قد بلغ هذه الدرجة من الفخر فإنّ اعتداده بأصحابه ووصفه لهم وافتخاره بهم ليس بأقل من هذا، وهو دليل آخر على صدق الأمير فيما يقول حيث لم يحتكر ذلك لنفسه فحسب، وهو ضمان من جهة أخرى لقيمة ذكراه، وسمو تفكيره، وعلو مقاصده الشّريفة،

---

[1] – يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، ص152،

[2] – عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث تاريخا و أنواعا و قضايا و أعلام، ديوان م،ج الساحة المركزية، بن عكنون، ص23.

[3] – يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، ص156 .

[4] – ممدوح حقي، ديوان الأمير، ص32.

لأنّه بهذا الاعتراف الجميل منه لأولئك الأبطال المغاوير، ووضعهم في مأمن من التزعزع وقلّدهم رسالة حفظه والشعب من الوراء [1]

إذ يقول : **الباذلون نفوسهـم ونفسيهم في حب مالكنا العظيم الأجلل**

كم يضحك الرحمن من فعلاتهم يوم الكريهة، نـهم فعل الكمل

الصادقون الصابرون لدى الوغى الحاملون لكل ما لم يحمل [2]

وهكذا لا يتورع أن يصفهم بخلال نابية عندنا، بعيدة عن الإنسانية لا تمثل من المحامد إن لم نقل المتوحّشين أو الحيوانات المفترسة .

وإذا كان الأمير قد كان ذلك "وصفا" مبالغة لا عملا إيجابيا، فإنّ جيش الاحتلال قد كان منه "عمليا" وواقعيا.

وللأمراء في مثل هؤلاء الأصحاب لابد أن يكونوا على جانب عظيم لا يستهان بهما، ولا شك أيضا أن يكونوا قد أدوا خدمات جليلة للوطن إلى جانب كونهم سواعد الأمير المباهي، وفرسانه المغاوير، إذ يحدّثنا عنه قائلا:

ما منهم إلا شجاع قــارع أو بارع في كل شيء مجمـل

كم صابروا،كم كابروا،كم غادروه أقوى أعاديهم كعصف مـؤكل [3]

لا بأس أن نقف قليلا لنذكر أنّ الأمير في مواقفه هذه جاء غير هازل، صادق غير مجازف وهذا على عكس غيره من الشعراء بصفة عامة الذين يطرون في المديح إلى حدّ الكذب. وميزة الصدق في الأقوال قليلة عند الإنسان في مثل هذه المواطن العظيمة، ومع ذلك فإنّ الأمير، كان فيها الصادق الأمين والوفي اللاّمع والمخلص الكبير. وكيف لا ! وهو القائل :

رفعنا ثوبنا عن كل لؤم وأقوالي تصدقها الفعال

ومرة أخرى نلمس صدقه في أقواله كشأنه في أفعاله. وذلك عندما نصب حكما في فصل قضية تفضيل البدو على الحضر إذ يقول:

يا عاذلا لامرئ قد هام في الحضر وعـاذلا لمحب البدو والقفــر

لا تذممنا بيوتا خـفّ محملها وتمدحنّ بيوت الطين والحجـر

---

[1] – يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، ص131.

[2] – المرجع نفسه، ص155 .

[3] – المرجع نفسه ، ص156.

لو كنت تعلم ما في البدو تعذرني لكن جهلت، وكم في الجهل من ضرر[1]

حقّا إنّ في الجهل عظيم الضرر، وكبر الإثم، وإلاّ فكيف لا تكون البادية خير من الحاضرة مادام سكانها في خير مستمر، وعافية دائمة، هم ملوك أنفسهم وسلاطين بيئتهم. بما توفر لديهم من الهواء الطلق، والكرم الحاتمي، إلى جانب سفنهم البرية كالإبل المضمرات، مع ما يصاحب قوميتهم. التي تجعلهم دائما على عدم قدم الاستعداد لدفع كل الأخطار، تصحبهم الانتصارات وتكلؤهم سيوفهم البتّارة.

جـ- التصوّف: استنادا إلى كلّ المدوّنات ذات الصلة بحياة الأمير وإنجازاته فانّه، يمكننا ملاحظة ارتباطه القوي بالفضاء الذي يعيش فيه سواء كان ذلك الفضاء مشكّلا من أفكار ورؤى وقضايا أو كان مرتبطا بأشخاص، ومن المعلوم أنّ أهم القضايا المعرفية والفكرية على عصره هي قضية التصوّف وما يدور في فلكها من نقاش وجدال وما كان يكتنفها حين ذلك من جدل حول الاجتهاد في معرفة اللّه وحول متطلبات الراغب في الوصول إلى إحدى مراتب التصوّف. ثمّ حول علاقة التصوّف بالسلطة وتأثيره وتأثره بها. وعلى هذا الأساس كان وهج التصوّف لدى الأمير وهو ابن الطريقة وابن زاويتها قد سبغ كثيرا من الدّسامة وثراء تجربته الشّعرية والصوفية معا، مما أهله لأن يبني رؤى جديدة في قيمة التصوّف وأن يفتح في محيطه الرحب توجها مستحدثا يبنى على العزلة والاختلاء ابتداء ثمّ يعود إلى ابتكار منهج يمزج ما بين "التنسّك" و"التعبد" بنفس القدر والعزيمة على إبقاء الاتصال والحفاظ عليه مع المحيط ومع الواقع، رغبة منه في خلق مفهوم التوازن في التجربة الصوفية بغية الإبقاء على طبيعة الإنسان الاجتماعية ورفع مظاهر التزمّت والعنف على الدين الذي مهما اختلفت تسمياته وطقوسه فإنّه يهدف دائما إلى إيلاء الشكر والتقدير والإقرار بمسمى واحد هو اللّه سبحانه و تعالى <و قضى ربّك ألاّ تعبدوا إلاّ إياه>> [2]، ولعل ذلك ما يبرز ابتعاده عن العزلة والاعتزال، بدليل أنّه حتّى عندما وضعت تحت تصرفه غرفتين في "أم المدائن" لم يمارس الاعتزال وإن كانوا كثيرين جدا لذا فهو كان يعتذر ليذهب بانتظام إلى غار حراء الذي كان يحلم به أيام فتوّته.

يمكننا القول بان الأمير كان يؤمن إيمانا عميقا بل وأساسيا في جعل التصوّف نهجا من أنهج النضال والدعوة إلى تفشي الحسن والعدل والنّية الحسنة بين بني البشر كيفما كانت دياناتهم

[1] – يحي بوعزيز، الأمير رائد الكفاح الجزائري، ص161.

[2] – القرآن الكريم، سورة الإسراء الآية"23-24".

وعقائدهم، وذلك بغية إنتاج نموذج الإنسان الكامل الذي لا يمكنه<<أن يزدري العالم وهو لا ينسحب منه، لكنّه لا ينتمي إليه، فاكتمال الحياة الروحية لا يتمّ بالهروب إنما بالحضور في المجتمع >>[1]

مما أصبغ أفكاره و رؤاه صفة "الثورية" و "التجديد" حتّى قيل عنه و عن دوره :<<لقد نجح عبد القادر في تحقيق أعلى المراتب الدينية التي تعتبر أساسية و جليلة، بعد عمل شاقّ وإنكار طويل للذّات ... إنّ دوره، كما هو معروف لدى الخاص والعام ليس له مضاه في أخبار الرجال العظماء غير العاديين، لظهور تطوّره غير المنتَظرة. فلم يكن هناك دور أكثر نموذجية للغز الوجود الإنساني ولا أكثر تعبيرا عن حقيقة قوله الرجل الحاكم حين قال:<<إن رحيل الإنسان من أمر اللّه، فكيف إذن يستطيع الإنسان أن يفهم طريقه؟>>[2]

إذن، وفقا لكل ما تقدم وبالرجوع إلى قصائده ومقطوعاته الشّعرية المحققة في الدين يمكن اعتبار الأمير قد أنفح التصوّف الإسلامي بروح جديدة وزوّده بدفع حداثي متميّز بداخله في عمق الوجود الإنساني وذلك ما أضفى على تصوّف الأمير ومنهجه بعدا إنسانيا أغرى جميع الملوك والسلاطين والعلماء وقادة الأجانب منهم العرب والمسلمين يعلون عن منزلته ويقرّون بفضل تديّنه

وبإنسانيته الرائعة المستخلصة من كتاب اللّه وسنة رسوله ومآثر الصحابة من بعده حتّى باتت قصيدته "أستاذي الصّفي "من ألمع وأبرز قصائده في التصوّف وأعمقها وأرقاها فيما أجادت به ربط لحياته وتجربته بمعلمه وأستاذه، في هذا الميدان وبالفضاء المقدس –مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة وغار حراء– حيث يقول :

أمسعود جاء السّعد، والخير واليسر ... وولّت جيوش النّحس، ليس لها ذكر

ليالي صدود، وانقطاع، و جفوة ... وهجران سادات... فلا ذكر هجر

أمولاي طال الهجر وانقطع البر ... أمولاي هذا اللّيل، هل بعد فجر

أسائل كلّ الخلق، هل من مخبر ... يحدّثني عنكم، فينعش الخبر

فقل لملوك الأرض : أنتم وشأنكم ... فقسمتكم ضيزى، وقسمتنا كثر

فمر، أمر مولى، للعبيد فإنّني ... أنا العبد، ذلك العبد، لا الخادم الحرّ[3]

إلى آخر أبيات القصيدة التي تبلغ مائة وإحدى عشر بيتا(11).

---

[1] – بشير بويجرة، الأمير عبد القادر رائد الشعر العربي الحديث، دار القدس و التوزيع، ط1،2009 ، ص125.

[2] – شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ص ص، 371، 372.

[3] – محمد بشير بويجرة، الأمير عبد القادر رائد الشعر العربي الحديث،دار القدس و التوزيع، ط1، 2009، ص ص، 126،127.

وهي قصيدة جديرة بالدراسة والتحليل من طرف أهل الاختصاص بغية اكتشاف ما بها من بعد جمالي ومن تجديد رصين بأن يدفع بموضوع التصوّف دفعا قويا نحو الحداثة والعصرنة ونحو تقريب المتصوّف من إشكاليات واقعه لا إغراءه بالنفور منها وذمّها وانتظار الكرامات والمعجزات، وعند وقفة قصيرة على ما يحمله تصوّف الأمير من تحديث ومزايا، من خلال هذه القصيدة سنلاحظ أنّ الأمير حاول أن يبعد التصوّف عن المشاحنات التي كان يتخبط فيها في هذه الفترة وأن يبعده عن الشعوذة و الاستغلال.

3/ الأصالة والتّجديد في شعر الأمير:

يقول الدكتور زكريا صيام:<<لم تكن شخصية الأمير ذات جانب سياسي أو عسكري أو اجتماعي أو أدبي أو علمي فقط، ولكنّها كانت هؤلاء جميعا>> [1]

فهنا زكريا صيام يرى أن الأمير عبد القادر الجزائري استطاع أن يجمع بين الأصالة والتجديد في أشعاره، وكما يرجع تجربته وسعته الفنّية والتاريخية والدينية والاجتماعية، هي التي جعلته يقف في طليعة الشعراء وفي هذا الصّدد نجد نقادا كثيرين سبقوا الدكتور صيام إلى هذا الرّأي منهم الدكتورة "نور سليمان" التي ذهبت إلى:<<أنّ شعر الأمير، أمير السّيف و القلم، أكثر متانة وعذوبة من شعر معاصريه، وأنّه من نوع الشعر السّهل الممتنع>> [2]

وكما يقول أحد النقاد أيضا في نفس الموضوع أنّ شعر الأمير لا يخلو من التراكيب المجازية كالاستعارة مثلا و حذف المشبّه به مع إبقاء شيء من ضروریاته الشّعرية العذبة والتوزيع الموسيقي الدقيق.

ويقول البعض الآخر:<<إنّ شعر الأمير يجري كالماء الزلال من النبع >> [3]

عالج الأمير في أشعاره مختلف جوانب الحياة، كما عاشها بحلّوها ومرّها ويظهر ذلك من خلال أشعاره، وكما نجده متأثّرا بكتاب اللّه عزّ وجلّ.

نجد الدّكتور زكريا عبد الرحمن صيام تطرّق إلى شرح بعض قصائد الأمير فنجده يعتبر أن الحكمة في أشعاره هي سرّ خلودها لأنها من قبس القرآن الكريم ومن لغة الضاد الواسعة فظهرت لديه من خلالها فحولة الشّعراء ورصانة الحكماء . وما أحوجنا إلى أن نغرس في نفوس أبنائنا معاني العزة والشّهامة والإباء والأصالة والشّجاعة التي وردت في حكمه، وأنّنا نردّد معه قوله:

---

[1] – الأميرة بديعة الحسني الجزائري، فكر الأمير عبد القادر الجزائري، حقائق و وثائق، ص323.

[2] – نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرفض و التحرير، الجزائر، ص183 .

[3] – الأميرة بديعة الحسني الجزائري، فكر الأمير عبد القادر الجزائري، حقائق و وثائق، ص323.

وما كل شهم يدّعي السبق صادق إذا سبق للميدان بان له الخسر

وعند تجلّي النّقع يظهر من علا على ظهر جردبل، ومن تحته حمر

وما كل من يعلو الجواد بفارس إذا ثار نقع الحرب والجوّ معبّر

وما كل سيف ذا الفقار بحدّه ولا كلّ كرّار عليا إذا كرّوا[1]

هنا نجد أنّ الأمير يعتزّ بتراثه العربي الإسلامي الأصيل فنجده يختار التراكيب المنبثقة من بيئة أجداده العرب، مثل قوله"عند تجلّي النّقع " وكذلك قوله "ظهر جردبل "، وكذا استشهاده بقادة المسلمين الذين ملأت أمجادهم الدنيا في قوله "ولا كلّ كرّار عليا.

[1] – نفس المرجع السابق، ص 323.

IV- نثر الأمير و آثاره:

1) الأمير ناثرا :

إنّ نثر الأمير عبد القادر قد ضاع معظمه ولم يصلنا سوى بعض الرسائل التي كتبها ونأخذ من بينها، رسالته التي كتبها إلى "هنري تشرشل" :

<<الحمد لله وحده، سعادة حلو الشمائل، جمع أشتات المحاسن والفضائل، السّيد الكولونيل تشرشل أمّا بعد السلام والسؤال عن الشريف خاطركم فإنّه وصلني عزيز كتاباتكم معربا عمّا لنا من جنابكم فاللّه يجازيكم أحسن الجزاء ويجعل حظّكم الأوفر من السعادة الدائمة بين الحظوظ والأجزاء، وأنّه ما منعني من ردّ الجواب بسرعة لمرض أصابني كان عاقني من الخروج إلى المسجد أياما وإلاّ فالمبادرة بجوابكم عندنا، آكد المؤكدات وشكر إحسانكم علينا من ألزم اللازمات، ونحن سائلون عن كل ما تعلق بكم ولاذ بجانبكم نسأل اللّه أن يصلح لنا جميعا الأحوال ويوفقنا جميعا للخير وصالح الأعمال. والسّلام من عبد القادر بن محي الدين غزّة، جمادى الأوّل 1273>>

الختم: عبد القادر بن محي الدين

<<271 [1]

وكذا رسالته التي كتبها إلى الوزير برنار:

<< الحمد لله وحده وصلى اللّه وسلّم على لا نبيّ بعده.

ختم الأمير

من أمير المؤمنين، سيّد الحاج عبد القادر بن محي الدين أيّده اللّه بمنّه آمين.إلى وزير القرة برنار، السلام على من اتبع الحق والرحمة و البركة وبعد.

فإنّ وزيرنا السيّد المولود بن عراش ورد علينا بسلامة وعافية وشكر صنيعكم وإحسانكم معه وفرحكم به فسرّنا ذلك غاية السرور غير أنّ مارشال الجزائر بعث لنا في هذه الأيام على أن نجعل الطريق بين الجزائر وقسنطينة وذلك ينافي شروطنا الأولى التي وقّعت "بتافنة" على يد وكيلكم "بيجو"وما جعلنا الصلح إلاّ بإحضار علماء الوطن ومشايخه ومشاورتهم في ذلك فرضوا بما هناك ولم نجعله وحدي.

ولمّا ورد علينا الأمر جمعناه مرة أخرى الآن وشاورناهم فلم يرضوا بذلك، وإن كنت تحب الصحبة والألفة والصلح معكم فلم يمكنني مخالفتهم لموافقة شرعنا لمرادهم ولا يخفى عليكم حال الرغبة إذا

[1] – شارل هنري تشرشل،حياة الأمير عبد القادر، ترجمة أبو القاسم سعد الله ، ص 271.

أرادوا شيئا لا يمكنني مخالفتهم وأيضا فانّ الوكيل بيجو كنا قد اتفقنا معه على بعض المسائل فلم يوف لنا بها. ومن ذلك إناّ شرطنا عليهم أن ينقل من الدوائر نحو الخمسة عشر المشتغلين بالفساد بيننا وبينكم في وهران إلى محل بعيد فلم يفعل بعد أن التزم بذلك وكتب لنا بخط يده، وإنّ الدوائر الباقية بجهة وهران لا ينزلون إلاّ بأرض الحفرة فلم يوف بذلك، ومن أراد منهم الانتقال إلينا فلا يتعرّض إليه أحد. وشرطنا عليه شراء ألف قنطار بارود وثلاث ألاف مكحلة بدفعها لنا في ثلاثة أشهر فلم يدفع لنا إلاّ شيئا قليلا، وإن بلغك أناّ لم نوفوا بالحَبّ والبقر فاعلم أناّ دفعناه ولم يبقى إلاّ نحو القليل الخمس، ولمّا لم يقع الوفاء بالشروط من جهتكم- ومن الشّروط ألاّ يتعرّض أحد لمن أراد الانتقال إلينا من جهة الجزائر ووهران فإذا بالتعرّض وقع حتّى إنّ بعض النّاس نحو المائتين روحا هربوا وتركوا نساءهم وأولادهم ومالهم لما رأى العرب عدم الوفاء بالشروط القديمة قالوا كيف تتكلموا على الشروط الجديدة وهذا عندما أخبرناكم به. كتب 19 ذي الحجة عام (تاريخ غير مقروء).

بدون توقيع >>[1]

2) آثاره:

وهي من بين المؤلفات الشّعرية و النثرية ونخص بالذكر:

أ- الديوان:

ويحتوي ديوان الأمير عبد القادر على خمس وستين قصيدة ومقطوعة في مجموعها ستة وثلاثين وثمانمائة بيت.

ب- المواقف في التّصرف والوعظ والإشادة:

من أشهر كتب الأمير، عالج فيه موضوع التصوّف، والفكرة الصّوفية، وعمد إلى تفسير آيات قرآنية تفسيرا صوفيا، و تطرّق إلى شرح أحاديث نبوية.

ويشتمل الكتاب على اثنين وسبعين وثلاث مائة موقفا، ويقع في ثلاثة مجلّدات في نحو خمس مائة وألف صفحة من المقطع الكبير.

جـ- ذكر العاقل و تنبيه الغافل:

كتاب جمع فيه الأمير مسائل تاريخيّة، ودينية، وفلسفية، وأخلاقية، هدف الأمير من خلاله إلى محاولته إيجاد صلة بين الحكمة والشريعة وائتلافها نصا وروحا. [2]

---

[1] - نفس المرجع السابق ، ص305.

[2] - فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر متصوفا و شاعرا، ص13.

الفصـــل الثاني

لمحة تاريخية عن محمود سامي البارودي

I.ترجمة البارودي

-مولده، نسبه، حيلته، وفاته

II.البارودي والثورة العرابية

-البارودي ضابطا وسياسيا

III. البارودي من رواد الشعر العربي الحديث

1-البارودي شاعرا

2- أغراضه الشعرية

3-البارودي بين التقليد والتجديد

IV.نثر البارودي وآثاره

1 -البارودي ناثرا

2 -آثاره

I.ترجمة البارودي:

-مولده، نسبه، حياته، وفاته:

<< ولد محمود سامي البارودي 1839 في القاهرة>>. [1]

<< في بيت مجد مؤثّل. وهو ابن حسن بك حسني الذي كان من أمراء المدفعية ثمّ صار مديرا لدنقلة وبربر على عهد محمد علي باشا. والبارودي نسبه إلى إيتاي البارود بمديرية البحيرة بمصر وجدّ أبيه عبد اللّه بك الجركسي. وينتهي نسبه إلى المقام السّيفي نوروز الأتابكي آخر برسباي قرّا المحمّدي لذلك يعرف عن الترك والجركس هم آخر الطبقة من الغرباء وفدوا على مصر ولبسوا صفة المولّدين لاتخاذهم مصر وطنا لهم >>.[2]

ويعرّفنا البارودي بنفسه في مقاطع نثرية قائلا:

<< أنا محمود سامي "باشا" بن حسن"بكر" حسني البارودي المصري كانت حياتي فيما بين "1255 و1322" الموافق لـ "1839 و1904" >>.[3]

في السابعة من عمره توفي أبوه فكفلته عائلته وبعد دراسته الأولى دخل المدرسة الحربية مقلدا منصبا عسكريا وواصل سيره محتذيا خطوات عائلته، وسمو الوظيفة العسكرية في مصر آنذاك.

<< تخرّج من المدرسة الحربية سنة 1854 وهو شاب في السادسة عشر من عمره إلاّ أنّه انكبّ على قراءة الشعر بين (1854-1863)بسبب عدم حصوله على عمل، وشرع في كتابة قصائده الأولى في جوّ شعري كانت السيادة فيه على يد عبد اللّه فكري ومحمود صفوت الساعاتي>>.[4]

<<ولمّا توفي والده بناحية دنقلة، ذاق حكم الحرمان منذ الصغر ولكنّه كان يحمل بين جنبيه نفس أبيه التي جعلته يتغلّب على مصاعب الحياة. مؤكدا أن يكون فارسا كأبيه الذي ضلّت صورته في ذكراه على مرّ السنين>>.[5]

---

[1] – محمد بنيس–الشعر العربي الحديث، بنياته و أبدالاته، دار تربقال للنشر،ط2، ص243

[2] – صلاح الدين محمد عبد التواب، مدارس الشعر العربي الحديث. دار الكتاب الحديث، حقوق الطبع محفوظة 1425هـ/2005م، ص35

[3] – محمد إبراهيم سليم، محمود سامي البارودي. رائد الشّعر العربي الحديث،دار النشر للطلائع،للنشر والتوزيع والتصدير، ص4.

[4] – محمد بنيس–الشعر العربي الحديث، بنياته و أبدالاته ،ص243.

[5] – ديوان البارودي، ضبط وتحقيق علي الجازم ومحمد شفيق معروف،ط. دار المعارف بالقاهرة 1391هـ/1971م،ص250.

<<ويتحدّث الشيخ حسن المرصفي عن تربية البارودي الأدبية والذي يعدّ من أقرب النّاس إليه قائلا بأنّ محمود سامي البارودي لم يقرأ كتابا في فنّ من فنون العربية،إلاّ أنّه اطلع على بعض الدواوين عندما بلغ سن التعقل التي أظهرت على ملامحه الميل إلى الشّعر وارتقى إلى ناقد للشريف والخسيس، فشاعرا>> [1]

<<توفيت زوجته، فتزوّج ثانية بابنة يعقوب سامي أحد المنفيين من زعماء الثورة العرابية، كما فقد أيضا ابنه، وكان العفو عنه سنة 1900م. وتوفي سنة1904 >>.[2]

[1] – صلاح الدين محمد عبد التواب، مدارس الشعر الحديث، بتصرّف،ص36

[2] – محمد بنيس، الشعر العربي الحديث،بنياته وإبدالاتها، ص244، بتصرف

II. محمود سامي البارودي ضابطا وسياسيا:

– البارودي والثورة العرابية:

تخرج من المدرسة الحربية سنة 1854 وهو لا يزال طفلا صغيرا في السادسة عشر من عمره، أيام عباس الأوّل. متطلعا إلى أن يكون له دور في حرية البلاد و استقلالها، ثم انتقل إلى تركيا بصحبة "إسماعيل باشا"، كما التحق بوزارة الخارجية فكتب الشعر هناك، ثم عاد إلى بلاده، شاهد الشاعر آثار الفساد السياسي والإقطاع والنفوذ التركي والشركسي في الإدارة والجيش وآثار الدخل الأجنبي في حكم مصر فانقلب ثائرا متحمسا بكل قضايا وطنه يفتديه بروحه ومهجته داعيا إلى الحرية في شعره. حيث جعل أمته تؤمن بأنّه يستحق أن يكون الشّاعر القومي والوطني الأوّل في العصر الحديث منذ بدء النهضة حتى اليوم. مناديا بوجوب الثورة على الظلم والفساد قائلا:

<< إن المرء لم يدفع يد الجور انبسطت عليه فلا يأنف إذا ضاع مجـده

وبقتــل داء رؤية العين ظالما يسيء ويتلى في المحافل حمـده

عفاء على الدنيا إذا المرء لم يعش بها بطلا يحمل حقيقة شـده>>[1]

ورأى أنّه من العار على الإنسان الرضى بالذّل والظلم ويقول في هذا الصدد:

من العار أن يرضى الدنيه ماجد ويقبل مكلوم المنى وهو سافـر

كما كان داعيا الشعب إلى الثورة على جلاديه:

<<فيا قوم هبوا إنما العمر فرصـة وفـي الدهر طرق جمة ومنافع

أصبرا على مسّ الهوان و انتموا عديد الحصى إنّي إلى اللّه راجع

وكيف ترون الذلّ عيشـة قانع وذلك فضل اللّه في الأرض واسع >>[2]

بعد الحملة الثانية إلى روسيا كان رجل مسؤولية سياسية عسكرية حيث كان معارضا لذلك التدخل الانجليزي في مصر ثمّ انظّم إلى الثورة العرابية في 1831م. واشترك البارودي فيها ثائرا وقائدا، ومسؤولا.

كان أحد أبطال ثورة عام 1881 الشهيرة ضد الخديوي توفيق بالاشتراك مع أحمد عرابي وقد أسندت إليه رئاسة الوزارة الوطنية في 04 فبراير 1882، والنضال ضد فساد الحكم والاحتلال

---

[1] – مصطفى عبد الشافعي، شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، دار الوفاء للدنيا والطباعة والنشر، ط1 2006م. ص88، بتصرف.

[2] – محمد عبد المنعم خفاجي، مدارس الشعر الحديث.ص21

الانجليزي بمصر عام 1882، قررت السلطات الحاكمة فيه مع زعماء الثورة العرابية في 03 ديسمبر 1882 إلى جزيرة سرنديب .

وقد وقف البارودي في الشعر وفي الحرب وقفة الفارس في وجه الطغيان، وإذا لعلع صوت الرصاص يدوي قال لقلمه تكلم السيف فاسكت أيها القلم، فقد تصدى للظلم والظالمين وهتف بصوته قائلا:

<<يا أيّها الظالم في ملكه أغرّك الملك الذي ينفذ

اصنع بنا ما شئت من قسوة فالله عدل والتلاقي غد>>[1]

[1] – ينظر: محمد إبراهيم سليم، محمود سامي البارودي رائد الشعر العربي في العصر الحديث، ص12

III. محمود سامي البارودي من رواد الشعر العربي الحديث:

1 -محمود سامي البارودي شاعرا:

ظهر البارودي وتطلع إلى أن صار علما من أعلام الشّعر العربي حتى أصبحت نماذجه صورا للبلاغة الجديدة وبصمته من بصمات البحث الأدبي الحديث، يعتبر الشعر الذي نقرأه ونتذوقه ونحفظ روائعه والتي أبدعها الشعراء العرب في كل مكان مدينا لمحمود سامي البارودي بأنّه رائد الشعر للنهضة العربية الحديثة، كما أنّ البارودي كان نجما ساطعا في التجديد الذي أعاد للشعر شبابه، وأجياله وعروبته.

قد كان منذ حداثته يميل إلى الأدب ويتذوق روائع الشعر ليستمع إلى ما يلقى في أنديته ومجالسه من منثور ومنظوم . ثمّ صار يقرأ على الأدباء والشعراء النماذج المختارة ويشاطرهم فقه ما يقرأ.

إلى أن عاد إلى صفحة الماضي ليتطلع إلى الدواوين الشّعرية لشعراء العصور الغابرة حتى حذا حذوهم، وتتبع خطاهم ونظم الشّعر وهو دون العشرين فرغم دراسة البارودي على العروض والقافية والنحو والصرف، ولكان محيطا بمعاجم اللغة إلاّ أنه جعل الأدب هواية له، والشّعر حرفته تذوقا وطبعا ولم يكن متصنعا حتى ارتقى إلى بلاغة القدماء. فقد تميز بالفطرة السليمة والنّفس الصافية والذّوق الرفيع و الإلهام الصادق.[1]

وتظهر طموحاته وآماله وأمنياته في عزّ شبابه، وفي هذا الصّدد يقول المرصفي عنه:"ولوع وهو غضّ الحداثة قرأ، وحفظ لدواوين الشعراء حتى شبّ على فصاحة اللسان مطبوعا على البيان دون أن يدرس النحو منطلقا بأغراض شعرية متنوعة ونهض به نهضة جليلة، فأرجع إليه حلّته العربية حتّى شابه شعر شريف الرضى والمتنبي في جزالة اللفظ وقوة النسج واِتحاد الأسلوب ورونقه وصقل الديباجة، وصبّ عليها الحضارة الجديدة في قوالب فنية . من أطلق على شعره وشعر معاصريه ممن تأثروا بالقدامى وحددوا شعر مدرسة البحث والإحياء والتجديد[2]

وممّا زاده على ذلك ملكة الشّعر التي في نفسه، ودواوينه السابقين وما احتلته من روائع في تاريخ الشّعر العربي. ورأى في الأدب القومي تصويرا للدهر بيسرها وعسرها من غزل وضحك وحكمة ورثاء ومديح و هجاء، ووصف مظاهر الطّبيعة بالعاطفة الجياشة والخيال ناظما لذلك أشعار تهزّ القلوب وتستهوي النّفوس، وهذا ما جعله يحرص على حفظه وتدوينه يقول في هذا الموقف:

---

[1] – محمد عبد المنعم خفاجي، مدارس الشعر الحديث، دار الوفاء الدنيا الطباعة والنشر –ط1– 2004،ص12–13، بتصرف–

[2] – المرجع نفسه، ص 14.

تكلمت بالماضيين قبلي ممّا جرت به عادة الإنسان أن يتكلما

فلا يعتمدني بالإساءة غافـل فلابد لابن الأيك أن يترنّما

وكأنّما كانت نفسه تتهيأ كحلة تفجّر طلقاته الكامنة فإذا به يترنم وينشد في مقدمة ديوانه: << أنّه كان في فترة مندفعة القريحة بتيار ألهج به لهج الصمام بهديله، مبديا بذلك أنّها أغراض حركته وغرام سال على قلبه>>[1]

يتبين من خلال القول أنّ البارودي تغنى بالشعر كما يتغنى الطائر بغير صنعة وتكلف، وحركت الأغراض مشاعره في صغر حياته، ومن بين الظروف التي ساهمت في تكوين شخصيته الشعرية وأججت عواطفه دراساته الأدبية التي أقبل عليها بشغف واطلاعه على الآداب الأخرى غير العربية وحفظ الكثير من أشعارها ومناظر الجزيرة الخلاّبة، وصور المعارك التي أثلجت صدره حتى سمع النّاس شعرا لم يألفه منذ أمد بعيد وأصبحوا يتطلعون إلى سماع المزيد الذي أحيا الأدب من جديد.

1)-1- شعر البارودي:

والشّعر عنده ومضات تلمع في الخيال، وتأتي هذه الخطرات الخيالية في حلقة دائرية يشدّ بعضها البعض أو خيال طويل ممتد في ملحمة من الملاحم أو مسرحية تتابع حوادثها.

كما أنّ الشعر الجيّد عند البارودي هو ما تميّز بوضوح المعاني وتجليها وحسن تنظيم عباراته وهذه كلّها مميزات الشّعر الغنائي كما ألفها العرب، قد التزم البارودي بهذه الصّفات ولم يخرج عنها إلاّ نادرا ويظهر في شعره غير قلق ولا مضطرب متصنّع، مؤمنا بأنّ الفن تهذيب وصقل للمواهب وتحسين أو تطوير مستمر ولا يستقيم الشّعر إلاّ بإتحاد وتظافر الطّبع والتهذيب والرّعاية وكل الصّفات السّابقة ويقول في هذا الصدد:

<<لـم تبن قافية فيه على خلل كلا، و لم تختلف في وصفها الجمل

فـلا ســناد ولا قلق ولا سقوط ولا ســهو ولا علل

لا تنكر الكاعب الحسناء منطقه ولا يعاد على قوم فيبتــذل>>[2]

والسناد" هو عيب من عيوب الشّعر يطرأ على ما قبل الرّوي مثل إختلاف الوزنين كعين لكسر العين، ولحين إذا جاءنا في بيتين متتاليين.

---

[1] – صلاح الدين محمد عبد التواب، مدارس الشعر العربي في العصر الحديث، ص ص،37،38، بتصرف.

[2] – المرجع نفسه، ص41.

سرّ قوّة هذا الشّاعر تكمن في الطبع الذي تعشعش فيه منذ الصغر . والتميّز بين القديم الذي تميّز بالجزالة الرصينة والحاضر الذي يعبّر عن متطلّبات العصر. والطبيعة التي وجد فيها الجو المنعش، مما ساعده على تقوية ملكة البلاغة في نفسه حتّى نشأ شعره مبكرا منبئا وعاكسا طبعه السليم وذوقه المستقيم فقد قال عن نفسه:

<< أقول بطبع لست أحتاج بعده إلى المنهج المطروق والمسلك الوعر

إذا جاش طبعي فاض بالدّر منطقي ولا عجب فالدّر ينشأ في البحر>>[1]

2/- أغراضه الشعرية:

طرق البارودي ما طرقه القدماء، فرغم علو شأنه، وسموّ مكانته في الشّعر، ومعايشته للعصر الحديث وإعطائه صفة أكبر روّاد الشّعر العربي الحديث، إلاّ أنّه لم يخرج عن قالب القدماء وأغراضهم الشعرية ولم يتطلّع إلى التغيير بما فيه من غزل ومديح وهجاء، ورثاء، فقد حاكى فحول الشعراء العباسيين من أمثال البحتري وأبي تمام و المتنبي، وابن الرومي، وأبي العلاء المعري وغيرهم من شعراء العرب الأقدمين.[2]

ومن أبرز الأغراض الشعرية التي لازمت البارودي نذكر:

أ- الفخر: يقول البارودي مفتخرا بنفسه:

<< أنا مصدر الكلم البوادي بين الحواضر والبوادي

أنا فارس أنا شاعر في كل ملحمة ونادي

فإذا ركبت فإنّني زيد الفوارس في الجلادي

وإذا نطقت فإنني قسّ بن ساعدة الإيادي>>[3]

وخطى البارودي على خطى السّابقين في الفخر بالفروسية قائلا:

<< إذا لم أعطي المكارم حقّها لا فلا عزّني خال ولا ضمّني أب

خلفت عيوفا لا أرى لابن حرّة على يدا أغضي لها حين يغضب>>[4]

كما يتبين من خلال فخره أنّه فارس عالي الهمّة وصاحب النّجدة والسّخاء معبّرا عن ذلك في قوله:

---

[1] – صلاح الدين محمد عبد التواب، مدارس الشعر العربي في العصر الحديث، ص42، بتصرف.

[2] – محمد عبد المنعم خفاجي، مدارس الشعر الحديث، ص28، بتصرف.

[3] – محمد إبراهيم سليم، محمود سامي البارودي رائد الشعر العربي الحديث،ص4.

[4] – ديوان البارودي،ج1، ص90.

<< إذا لم يكن إلاّ المعيشة مطلب فكل زهيد يمسك النّفس جـاير
من العار أن يرضى الدّنية ماجد ويقبل مكذوب المنى وهو صغير>>[1]

لقد عرف البارودي شدّة اعتزازه بنفسه، فلم يقبل الضيم من أحد وهو ما يفسّر طبيعته الثورية التي كانت سببا في محنته التي اِنتهت به إلى السّجن والنّفي، ولكن رغم هذا فانّ هذه الطبيعة أكسبته احترام المثقّفين والنّقاد الذين رأوا فيه زعيما ثوريا صادقا في كلامه وشعره.

إنّ فخر البارودي لا يختلف كثيرا عن فخر القدماء أمثال المتنبي، بشار، وأبي تمّام.

فشعر البارودي أقرب إلى الشّعر الذاتي الذي يعبّر عن مشاعر صاحبه، وآماله وطموحاته،لأنّه شعر صادق. ففي الواقع فخر البارودي يعكس طبيعته الثورية، والعسكرية في نفس الوقت، في أسلوب يجاري فيه القدماء، ولكنّه ينأى به عن الغموض متّخذا لغة حديثة قريبة إلى أذهان أبناء عصره.

ب/ الوصف:

يعتبر الوصف ظلّ البارودي الذي لازمه دائما، واصفا بذلك جمال الطبيعة والريف المصري، فقد كان مصوّرا ماهرا نقل لنا الطبيعة عبر صورة ملوّنة ومكتسية شعوره حيث وصف لنا الطبيعة وصفا دقيقا والتي أفتنت وسحرت خياله وأخذت عقله وخطفت قلبه، مدرجا الطبيعة آية من آيات الجمال الدالة على عظمة الكون وقدرته الجبارة في الخلق فقد كان ديوانه غارقا في الموصوفات.

ومن بين ما سرقت عيناه، جمال الرّيف المصري الذي تعشعش بين أحضانه، والمترنّم بصوت جريان الماء، و اخضرار الطّبيعة والظّل الظّليل، ونسيمها العليل، وبين ملتويات النخيل والتي وجد فيها البارودي هدوء النّفس وحريّة الشّعور، بعيدا عن السّاحة السياسية مجددا دربه ونشاطه وحيويته متزوّدا بها كوقود لشعوره. وأكسجين لعواطفه، وساحة تنعش شعره ففيه نعمت أظافره وفي أرضها شبّ ربيعه.

ونجده في أشعاره يسكب عبرها إعجابه و تصوّراته وعواطفه في وصف سريع، متأنيا في شعوره متعجلا في وصفه قائلا :

<<عم الحيا واستنى الجداول وفاضت الغدران و المناهل
وازّينّت بنورها الخمائـل وغرّدت في أيكها البلابــل
وشمل البقاع خير شامـل فصفحة الأرض بنات خائـل>>[2]

---

[1] – ديوان محمود سامي البارودي، شاعر السيف والقلم، الأعمال الشعرية الكاملة، جمع وتقديم وتعليق سمير إبراهيم بسيوني، حقوق الطبع والنشر محفوظة، مكتبة جزيرة الورد، ج2، ص94.

[2] – نقلا عن: صلاح الدين محمد عبد التواب، مدارس الشعر العربي الحديث، ص54

كما وصف شموخ النّخيل وساقيها واستقامتها:

<<والباسقات الشمخ الحوامل مشمورة عن ساقها الزلازل

ملويّة في جيدها العثاكل معقودة في رأسها الفلافل>>

كما وصف الطائر الذي ظل أنيسه وقاتل وحشته وطارد وحدته مخففا عن آلامه، فيهيج شعوره ويحرك عاطفته، قائلا:

<<ونبأة أطلقت عينيّ من سنة كانت حبالة طيف زارني سحرا

فقمت أسأل عيني رجع ما سمعت أذني، فقالت:"لولى ابلغ الخبرا"

ثمّ انشر أبّت فألفت طائرا حذرا على قضيب يجيل السّمع والبصر>>

وصف أيضا ليلة مطيرة في منفاه بسرنديب يذكّر فيها أيامه الخوالي كيف كان يقود جنوده وهم مطيعين له يسيرون خلفه، قائلا:

<<إن سرت ساروا وان أصعد إلى نشزه كانوا صعودا، وإن أهبط بهم هبطوا>> (1)

يتبيّن لنا في هذا البيت شوق البارودي لتلك الأيام التي كان فيها مع جنده المطيع له، خاصة الليلة المطيرة التي وصفها، والتي قضاها في جزيرة "كريت" و هو في ربيع عمره.

ومن خلال ما عرضناه سالفا لوصف البارودي تبين لنا أنّه من بين متصدري قائمة وأعمدة وأعلام الواصفين للطبيعة أمثال "البحتري، وابن خفاجة وابن الرومي" في قصائدهم المشهورة ويتجلى ذلك من حيث الصور الشعرية من استعارات وكنايات، ومقابلة وما شابه ذلك من الأدوات الفنية حيث يختلف عنهم فقط في موضوع الوصف، من ناحية محيط الشّاعر. وعند قراءتنا للقصائد الوصفية اِتّضح لنا أنّه قد أفرد لغرض الوصف قصائد خاصة له، كما لاحظنا أنّه اِنفعل اِنفعالا شديدا لمظاهر الطبيعة مترجما إياها في قصائده. ففي أغلب قصائده الوصفية كان الحسّ رقيق المشاعر، وشديد الالتياع.

جـ/ الغزل:

يعتبر الغزل من أبرز الأغراض الشّعرية التي لازمت الشّعراء قديما وحديثا فجعلوه في مقدمة قصائدهم، ثمّ لجأوا إلى الأغراض الشّعرية الأخرى، لكن حديثا أتُّخِذَ للغزل قصائده منفردة.

نلاحظ أنّ لهذا الغرض حضور قويّ في ديوان البارودي خاصّة في المرحلة الأولى من حياته، ونقصد بها مرحلة الشّباب قبل الثورة العرابية، لكن ما يميّز البارودي عن الأوّلين مزجه بين

[1] – محمّد سليم إبراهيم، محمود سامي البارودي رائد الشعر العربي الحديث، ص 28، 30.

قالبي القديم والحديث، فمرّة يجعل الغزل في مقدمة قصائده، و أخرى يفرد لها قصائد خاصة بها، تألّم من خلالها من نار الهوى التي أحرقت وألهبت قلبه، طارحا آهات عبر دموعه، ووقف أمام الحبّ والمرأة والجمال في ريعان شبابه بحرّية.وهاهو ذا يعكس تجربته في العشق قائلا:

<<ربّ خذ لي من العيون بحقّي وأجرني من ظالم ليس يبقي

قد توقيت ما استعت من الحـ بّ ولكن ماذا يرد النوقـي

وترفّقت بالفـؤاد، ولكـن غلبت لوعة الصّبابة رفقـي>>

في هذه الأبيات البارودي يستغيث اللّه تعالى ويدعوه أن يأخذ له بحقّه من عيون السّحرة التي لا ترحمه ولا تشفق عليه، فقد حاول أن يتجنّب الحبّ ولكن لم ينفعه الاحتراس من حرقة الحبّ والشوق ويقول أيضا:

<<ما أطول الليل على السّاهر أما لهذا الليل من آخر

يا مخلف الوعد ألا زورة أقضي بها الحقّ من الزائر

تركتني في غمرات الهوى في لجّ بحر بالردى زاخر>> [1]

من خلال الأبيات السّابقة، يتجلى لنا أنّ الحب قد عذب البارودي لدرجة أنّه سهر اللّيل وأحسّ بطوله. ويدعو فيه فتينة قلبه أن تزوره لعلما تخفف عنه شدائد الحب.

أخيرا غرق البارودي في الهوى وتشعّبت أمامه المسالك، فلم يعرف أيّ درب يتّبع ولم يدر كيف ينتصف. فيصف لنا ما يعارضه مصوّرا حياته في الهوى وما يعانيه من معانات وآلام قائلا:

<<حياتي في الهوى تلف وأمري فيه مختلـف

أبيت اللّيل مكتـئبا وقلبي في الحشايـجن

فنومي كلـه سـهر وعيشي كلّه أسـف>> [2]

في هذه الأبيات يشير إلى ما يلاقيه العاشق من آلام قد تهلكه وحياته صارت هجر وأسف وحسرة.

---

[1] – محمّد سليم إبراهيم، محمود سامي البارودي رائد الشعر العربي الحديث، ص32، بتصرف–.

[2] – المرجع نفسه، ص57 .

نستنتج أنّ غزل البارودي مستقل بذاته في معظم الأحيان. وفي هذا الغزل نعثر على أثر للرومانسية الحديثة أو لتوظيف الرّمز. فغزله تقليدي يركّز على مفاتن الحسّية للمرأة، دون الاكتراث بعواطفه اتجاهها، هنا يظهر أنّ الشاعر تأثّر بالقدماء واِقتدى بهم.

3/ البارودي بين التقليد و ملامح التجديد:

3-1- البارودي مقلّدا:

خطى البارودي ما خطاه القدماء،مبتدئا حياته الشّعرية مقلّدا لأسلوب القصيدة العربية، متخذا المقدمة الطّللية تقليدا للسابقين، وهذا يظهر من خلال المعارضات قائلا:

ألاحي من أسماء رسم المنازل وإن هي لم ترجع بيانا لسائـل

خلا تعفّتها الروامس و التقت عليها أهاضيب الغيوم الحوامـل

فلأيا عرفت الدّار بعد ترسم أراني بها ما كان بالأمس شاغل [1]

ومن خلال المعارضات يظهر أنّ شعر البارودي بين محاكاته للأقدمين في تلك الأغراض، فقد عرف ببراعته مع أسرار وخبايا الشّعر الجيّد.

ومرحلة الشّعر التقليدي لدى البارودي كان لها أثر وخطر للشّعراء الذين جاءوا بعده. وقد صدق العقّاد حين قال:<<أنّ للمقلّد نفحة من اِستقلال الشخصية لا ترى في الشاعر المبتكرين أكمل الصّور التي تكمل فيها الحريّة الفردية>>

حيث إنّ البارودي أعاد المياه إلى مجاريها، وبعث الأمل في نفوس هؤلاء الشعراء وأنّهم في حرّية الرجوع إلى الشّعر السّلف ومجده.

ربّما كانت محاكاة البارودي للقدماء هي أنفع ما في شعره لأدب وطنه بل أمّته العربية عامة. لأنّه بعث فيهم روح الأصالة ومجارات العباسيين والمخضرمين والجاهلين في ميدان اللغة والتركيب باعثا فيهم روح الثّقة إلى الابتكار والاستقلال.

ومن خلال المعارضات يظهر أنّ البارودي حاكى ونسج ونظم على منوالهم وأنه موجب بروائعهم حتّى صقل موهبته وهذّبها إضافة إلى عوامله الذاتية التي ساعدته على ذلك من حسّ مرهف، وذوق أصيل قال معارضا "عنترة"

كم غادر الشّعراء من مـتردّم ولرب تال برّ شأ ومقـدم

في كل عصر عبقري لا يبنـي يفدي الفديّ بكل قول محكم

[1] – ديوان البارودي،ج1، ص231.

والبارودي من خلال معارضاته خشى ورفض أن تفنى بذاته في أشخاص من يعارضهم.

وقرأ للنابغة الذبياني في داليته:

أمن آل أميّة رائح أو مغتد عجلان ذا زاد وغير مزوّد.

وعلى منوالها نسج البارودي قائلا:

ظن الظنون فبان غير موسد حيران يكلأ مستبـر الفرق

كما عارض الشعراء العباسيين منهم أبا تمام قائلا:

ما وقوفك ساعة من بـأس تقضي حقوق الأربع الأدراس.

– أطربنا البارودي على وزنها وقافيتها:

هل في الخلاعة و الصّبا من يأس بين الخليج و روضة المقياس

وعارض المتنبي الذي أثلجت أشعاره صدره:

وأودّ من الأيام ما لا تـودّه وأشكو إليها بيننا وهي وجنده

عارضه البارودي بقوله:

رضيت من الدنيا بما لا أودّه وأيّ اِمرئ يقول على الدهر زنده

من خلال ما سبق نكتشف أنّ البارودي كثرت في شعره المعارضات فقد حطمت رقما قياسيا، و التي ترجمت تعلقه الشديد بالأصالة، فلم يقتد بهم في المعنى فقط وإنّما عارضهم حتّى في الألفاظ في العديد من قصائده. وقد تبلورت روح الأسلاف الغابرة في قصائده.

يمكن اِعتبار البارودي، بإجماع من النّقاد، أنّه مرآة صادقة لثقافة عصره التي كان يغلب عليها الميل إلى الأخذ بأساليب القدماء في النّظم و النّثر. إنّ البارودي ذو طبيعة ميّالة إلى الصدق وبشدّة الإِنفعال والتأثّر لما كان يصيبه ويصيب أبناء وطنه من ظلم وقمع وسلب للحرية السياسية.

أخيرا نتوصّل إلى أنّ البارودي اقتدى بما جاء به القدماء معتدلا غير مبالغ فيه. كما تطغى عليه مسحة من ثقافة العصر الحديث مثل اِعتماد اللغة السهلة، وتجنب المفردات التي لم تعد مستعملة، التّفاعل مع الموضوع، والابتعاد عن التكلّف.

3-2- ملامح التجديد:

لم يكن البارودي جاريا وراء الإحياء فقط فهو لم يكن مقلّدا ومحاكيا للقدماء، وإنّما كان ساعيا إلى التجديد، يعد شعر المنفى تجديدا للشعر وحلّة جديدة لبسها الشّعر العربي الحديث فكان البارودي من بين ناسجي هذه الحلّة لذلك يعدّ لشعر المنفى، منعرجا حاسما في التاريخ الشعري العربي.

فقد عوّض الشّعر مركب النّقص الذي أصابه المتمثّل في الوطن والعائلة العزيزة عليه. ومن خلال ملامح التجديد للقصائد الوصفية التي أفرد لها قصائد قائمة وحدها، مثل وصف الطبيعة، الطيور التي تأنس بها.

ومن بذور التجديد أيضا الشّعر السياسي الذي بدت فيه شخصيته واضحة المعالم، متمرّدا في صفحاتها على الظلم والطغيان، وقد كان قلمه واقفا وقفة المتحدي لكلّ قمع و استبداد، فقد سلك طريقا تعارضت رجله مع كلّ أحجار العنف وأشواك الجور. وهو الأمر الذي جعله مركز الصّدارة في قومه، كما ترجم حبره مفاسد عصره. وتخاذله حرصا بذلك وناصحا على الثّبات ومتعجبا للنفي والتعذيب من دون اقتراف ذنب، هاتفا بصوته للعدل في الأحكام (و هذا في عهد "إسماعيل باشا") وصاح في وجه الاستعمار مستنهضا للهمم، ومحثّا على العمل مودعا الشبيبة التي كانت سجلاّ للمعاناة والآلام فكان شعره رسالة وعملا من أجل أمته مولعا بالتحقيق بين الحلم والحقيقة.

كان شعره السياسي مصبوغا بعاطفة جيّاشة حتّى كانت خاتمته التّشريد من أجل وطنه وأهله. كذلك جدد البارودي في شعر الغزل ومدحها بالعفّة، فكانت نفسه مسرحا لعاطفة الحب والإباء، وقد صرّح ذلك البارودي في ديوانه بأنّها أغراض حركته، وغرام سال على قلبه. فلم يتمالك حتّى هاتف بها، وترجمت في قصائده.

كثر لدى البارودي الشّعر الحماسي والوطني والسياسي وقلّ شعره الغزلي وجدّد في فلسفة العشق. و من ملامح التجديد في الهجاء انتقاله من الهجاء الشّخصي إلى الاجتماعي الذي قصد وراءه ترجمة عيوب المجتمع راغبا بذلك في الإصلاح. التي ساءت في عصره الغدر والحياة الذّليلة ونقل الهجاء معتمدا بذلك على السبّ المقذع لأشخاص مع وصف حياتهم إلى لنّقد الاجتماعي الذي يهدف إلى الإصلاح واقتلاع جذور الشّر والفساد إلى غير ذلك من ملامح التجديد التي بدت في أشعاره، وإن كان يبدو على بعضها التكلّف والتصنّع، من واجب الشّعراء أن يكونوا صدى للحياة وانعكاسا لها.

IV. نثر البارودي و آثاره:

1/ محمود سامي البارودي ناثرا:

قد يكون الشّاعر ناثرا، وليس كل ناثر شاعرا.هذا إلى جانب شعره فقد تميّز نثره بالجمال أيضا،واصفا المسلك الذي نفي إليه، محدثا عن معاناته في البحر وآلام الفرقة التي تعدّ من أصعب لحظات حياته، ولوعة الغربة التي قتلت قلبه فيقول :<< إنّي لمّا أفضت بي غوائل الزمن إلى مفارقة الأهل والوطن، وحقّت كلمة الوداع، وأنصت كل مجيب وداع، سارت بأشباحنا الفلك، بتقدير من له الملك ". فلمّا توسطنا لجّة اليّم وغلشيتنا ضبابة الصمّ، أخذ البحر يصدر ويموج، والريح تعصف وتروج، والدّجن يبرق ويرعد، والموت يقرب ويبعد، والفلك بين الصعود وهبوط، والنّاس بين رجاء وقنوط، فشخصت الأبصار، وغابت الأنصار، وأقبل الفزع، واستولى الجزع، وشغلت الدموع المحاجر، وبلغت القلوب الحناجر .هناك دعى ربّهم الغافلون، وكفّت أديالهم الرافلون، فلا ترى إلاّ ناكس الطرف، لا ينبس بحرف كأنّما أصابتهم الرّجفة، أو غشيتهم الوجفة، فهم لفرط الحيزة خمود تحسبهم أيقاظا وهم رقود>> [1]

<<فلم يزل يتخبطنا اليمّ، ويأخذ بأكظامنا الغمّ، حتّى كادت الأنفس تزهق، وأظفار المنيّة ترهق، ونحن في وعاء لا نملك غير الدعاء، وكيف لنا بالخلاص، ولات حين مناص. فبعد لأي مّا سكنت فورة الريح، وهدأت ثورة ابن بديع، وتجلّت بنورها السّماء، واصطلح الماء والهواء، فقرّت الأنفس في الصدور، وتنفّس كل مصدور، ولم يبقى إلاّ سوق الحديث من قديم وحديث.

والفلك يمخر البحر بجؤجئه، ونحن من الشّهر في دؤدئه حتّى اِنتهى بنا الدبيب، ولاحت عين سرنديب. فدخلتها مشبوب الأنين، على الأهل ولابنين، لا أستطيع لما عراني دفعا، ولا أملك لنفسي ضرّا ولا نفعا، وما ضنّك بمن غاب عنه السّمير،والتاع بالفرقة منه الضمير، فهو بين هموم ناصبة وأحزان واصبة و أشجان يهلك لها الصبر، ومرارة يحلو عندها الصّبر.

وإن نطقت فبصوت لا يدركه السّمع، و إن نظر فبعين ملأها الدّمع>>[2]

ومن خلال ما تطرقنا إليه في نثر البارودي استنتجت أنّ:

لنثره خصائص تمثّلت في الاقتباس من القرآن الكريم ويتجلّى هذا الاقتباس في عدّة مقاطع وردت في نصوصه النّثرية نذكر منها:

1- كلمة "المناص" وردت في قوله تعالى:<< ولآت حين مناص>>

---

[1] – محمد سليم إبراهيم، محمود سامي البارودي رائد الشّعر العربي الحديث، ص72.

[2] – المرجع نفسه، ص74.

2- "تحسبهم أيقاظا وهم رقودا قول عزّ وجلّ. فهذه الآية اقتبسها كما هي من سورة الكهف. آية 18".

3- كذلك كلمة "الرّجفة" و"الوجفة" كلاهما مقتبسة من سورة النّازعات فالرّجفة من الآية (5). أمّا "الوجفة" فهي من الآية (7)

ونجد معظم الكلمات أقتبست من القرآن الكريم كلمت "اليمّ" وأكظامنا من الكظيم وقوله تعالى:<< و إذا بشّر أحدهم بالأنثى ظلّ وجهه مسودّا وهو كظيم>> سورة النّحل الآية-58-

كما نلاحظ محسّنات لفظية كالجّناس الناقص:

- الوداع ⟵ داع - المحاجر ⟵ الحناجر

- يموج ⟵ تروج

الطّباق: صعودا، هبوطا.

عند قراءتنا لنثر البارودي نجد أنّه مليء بالسّجع، مما أكسبه رونقا وروعة وجمالا لدرجة التّأثير في النّفوس وتوجيه العقول.

2/ آثاره:

توفي البارودي تاركا وراءه آثارا ضخمة في خدمة الأدب العربي، شعرا ونثرا فقد جال عبر التاريخ راصدا لنا التراث العربي القديم ونقله عبر جسر تخطى فيه ركود الشّعر والسّبات العميق، معيدا بذلك الشعر إلى روحه، مفككا بذلك على القيود و الأغلال والعقد التي بقيت تلازمه سنوات طويلة.

كما سعى جادا في التجديد في الكثير من أغراض الشّعر من الوصف في الشّعر السياسي، والهجاء الاجتماعي، الرثاء والمديح. كما جعل الشّعر رسالة وصورة عاكسة للنّفس والعصر، وخلّصه من قناع التّكسب والمغري متجاوزا بذلك الهجاء الباطل والشخصي. بدليل أنّ الشّعر كان يغط في الدرك الأسفل، فقد نزل الشّعر درجات وبعد البارودي صعد درجات، فقد سقى زهرة الشعّر بماء العصر. وأنعشها بعطر عواطف النّفس وخلجاتها،موصيا بذلك الشباب أن ينهلوا من ثمارها اليانعة،وبذلك كان البارودي حقلا ينهل ويقطف منه متتبعيه مثل: شوقي وحافظ إبراهيم وإسماعيل صبري، والرّافعي ومحمّد عبد المطلّب وعلي الجازم والكاظمي ومعروف الرّصافي وأحمد محترم،وأحمد الكاسف، وأحمد نسيم وأحمد الزين، على تباين منهم في مدى الحذو بخطواته والتأثر باتجاهه، فكانت مدرسته شعارها التراث وعنوانها التحفظ وطموحها التجديد بما يقتضيه العصر،

ويعتبر ديوان شعره الضّخم أحدى بصماته التي بقيت في سجل الشّعر العربي بعد رحيله. والتي لازمته طوال حياته في النّسق والترتيب والمراجعة والشّرح قبل مفارقته للحياة.

ومن أبرز بصماته الأدبية العامة المختارات التي جمعها من عيون الشعر العربي في أربعة أجزاء اِنتزع البارودي لثلاثين شاعرا من كبار شعراء العصر العباسي مرافقة بالشّرح والتعليق مطلقا عليها اسم " قيد الأوابد " والتي جمع فيها عيون الرسائل والخطب والتوقعات.

يعتبر البارودي صناعة ونفسا جارية وراء النّغم وعاشقا فافتنّ حتى أنسى الفنّ فقد كان من بين كتّاب وطنه وشعرائهم، فقد قفز قفزة عملاقة تخطى فيها الضعف والركاكة ووصل بذلك إلى الصّحة والمتانة، فقد كان هرما مصريا يحمل ركام السّابقين وآثارهم. فقد مسك بيد من حديد الشعر متحديا كل الصعوبات في إعادة الاعتبار والإحياء للتراث القديم والإرث العتيق.

الفصـــل الثالث

موازنة بين الأمير عبد القادر ومحمود سامي البارودي

I. أوجه التشابه و الاختلاف

1. أوجه التشابه

2. أوجه الاختلاف

II. **مقابلة بين قصيدتين للأمير و البارودي (المنفى)**

1. دراسة تحليلية للقصيدتين

2. خصائص أدب المنفى

III. الأسبقية في الريادة و إحياء الشعر العربي

1. الإحياء، الحداثة والمعاصرة

2. الأمير والبارودي وفرضية التأثر والتأثير

I. أوجه التشابه و الاختلاف:

1. أوجه التشابه:

✓إنّ هناك تشابها كبيرا بين هذين الرجلين العملاقين في رؤيتهما للبطولة و في إعجابهما الشّديد بما أبدعته القصيدة العربية الكلاسيكية في هذا الشأن وفي محاولة كل منهما مجاراتها وتقليدها.

✓كلاهما جمع بين الروح العسكرية والروح الشّعرية.

✓عملا على إيجاد الصورة الشّعرية في أفضل عصورها تعبيرا عن الأحاسيس الذاتية والوطنية والحياة الاجتماعية المعشية فقد عكست تجاربهما أيضا وتأثرهما بالشّعر العربي المشهورين ومن أهمهم: عنترة بن شداد، أبو فراس الحمداني وأبو الطيب المتنبي مما كان ظلهم قائما في شعر الأمير والبارودي معا، فإن قال هذا الأخير:

<<وما الحلم عند الخطب والمرء عاجز بمستحسن كالحلم والمرء قادر>>

محفوظة للمتنبي واستيعابه حيث قال:

<< كل حلم أتى بغير اقتدار حجة لاجئ إليها اللئام >>

وإذ قال الأمير في خطابه لأم البنين:

<<سلي الليل عني كم شققت أديمه على ضامر الحنين معتدل عادل

سلي البيد عني والمغاوز والربّى وسهلا وحزنا كم طويت بترحالي>>

هنا الأمير غير بعيد عن المتنبي حين قال:

<< والخيل و الليل و البيداء تعرفني والسّف والرّمح والقرطاس والقلم>>[1]

كلا منهما قاد معارك انتصر في البعض وانهزم في الآخر، فقد كننا رجلي حرب أبليا البلاء الحسن في الجهاد.

✓كما عانيا محنة السجن (النفي) خارج الوطن في فترة زمنية متماثلة، سبعة عشرة عاما لكليهما قضاها البارودي في سيلان بإرادة انجلترا بعد فشل الثورة العرابية، و قضاها الأمير في فرنسا بعد فشل ثورته حين فقد الساعد والمعاضد، كما قال داخليا و خارجيا.

وهناك الكثير من العناصر والقضايا التي يشتركان فيها وعبّرا عنها في شعرهما.

---

[1] – عمر بن قينة، الأدب العربي الحديث، شركة دار الأمة للطباعة و النشر و التوزيع، ط1، جانفي 1999، ص70.

وفي هذا الصدد يقول أحمد عبد المعطي حجازي << حين نقرأ شعر الأمير عبد القادر نتذكر معه البارودي، كلاهما فارس، وكلاهما شاعر، وإن رجحت كفّة الأمير الأولى، ورجحت كفة البارودي في الأخرى، والشّبه لا يقف عند هذا الإطار الخارجي، بل يتعداه إلى لغة الشاعرين وإلى موضوعاتهما، فقد اتخذ كل منهما الشّعر للإفصاح والتعبير، لا للزخرفة والتّصنيع، وهذه أوّل خطوة للخروج عن التقليد، وكل منهما وصف الحرب وعبر عن عواطفه، وذكر أهله وولده، وكل منهما تعرض للنفي والأسر، وكل منهما له حركة الإحياء مكان مرموق>>[1]

2. أوجه الاختلاف:

- ✓أول ما نستعرض من أوجه الاختلاف هو أن الأمير ولد سنة 1807، والبارودي 1837.
- ✓الأمير ولد في الريف وتربى فيه
- ✓بينما البارودي شبّ على تربية الخدم والحشم
- ✓الأمير امتلك البطولة والشجاعة من الريف الجزائري ومن الطبيعة الجزائرية المكسوّة جبالا وشعابا، و صحاري وزاد تمسكه بها معاركه وحروبه.
- ✓بينما البارودي تخرج من المدرسة الحربية سنة 1850 حيث تخرج فيها برتبة ممتازة ثمّ عيّن ناظرا ووزيرا للمعارف والأوقاف. ثمّ ناظرا للحربية ثمّ البحرية، ثمّ رئيسا بمجلس النظار الذي تولى فيه أحمد عرابي نظارة الحربية و البحرية .
- ✓كان تكوين الأمير تكوينا دينيا وفقهيا تحت رعاية الزاوية.
- ✓أمّا البارودي فكان تكوينه تكوينا عصريا وحديثا يتعرض فيه الدارس إلى قضايا الجمال والفنّ في البوح الشّعري .
- ✓كان الأمير عبد القادر من أبرز الشعراء في كتاباته لغرض التّصوف، فقد كان متصوفا عكس البارودي.
- ✓كان الأمير قائدا في الثورة، أما البارودي فمجرّد ضابط سياسي.

[1] – محمّد بشير بويجرة الأمير عبد القادر رائد الشعر العربي الحديث، دار القدس العربي للنشر و التوزيع، ط1، 2009، ص13.

I. مقابلة بين قصيدتين للأمير عبد القادر والبارودي:

1 -دراسة تحليلية للقصيدتين:

أ- دراسة تحليلية لقصيدة الأمير عبد القادر الجزائري التي مطلعها:

ماذا على ساداتنا، أهل الوفا لو أرسلوا طيف الزّيارة، في خفا

ماذا على ساداتنا، أهل الوفا لو أرسلوا طيف الزيارة، في خفا
يترصّد الرّقباء، حتّى يغضلوا ويكون مانع، وصلنا- ليلا – غفا
فإذا تمكّنت الزيارة خفيـة يأت مواعيد وصلنا، متلطـفا
وتكون قبل حلوله أفرشتـه خدّي وطاء للنعال، وللحقا
ويكون بيت نزوله، قلبي الذي - وحياتهم – من حب غيرهم، عفا
ضيف له نزل لدي – كرامة – كبد، شواها البعد في جمر الجـفا
يا سعد، أن كنت البشير بوصله فلقد أتيت على المسرة والـوفا
لو أنّ نفسي لي، إليك بذلتهـا وأراه بذل مقصر، ما أنصـفا.
وتكون يا سعد، المساعد للذي من هجر من يهواه، صار على شفا
لم يبقى يوم البين، والهجر الذي خلقا لتعذيب الأحبــة مسعفا
إلاّ صبابته، وجسما قد غـدا ملقى، كشت بالفلا لن يخصفا [1]

1 -شرح الأبيات:

(البيت الأول) ماذا على ساداتنا، أهل الوفا لو أرسلوا طيف الزّيارة في خفا [2]

ساداتنا: يعني بهم علماء الصّوفية وهذا اللفظ يدل على تأدّب الأمير في مخاطبة العلماء. إستفهام غرضه الحسرة والشوق إلى أهله وأصدقائه.

ففي هذا البيت نجد الأمير عبد القادر الجزائري يخاطب علماء الصوفية الذين يصفهم بالوفاء، لو قاموا بزيارة إليه في خفية، لشدّة شوقه.

(البيت الثاني) يترصّد الرّقباء، حتّى يغفلوا ويكون مانع، وصلنا – ليلا – غفا [3]

ليلا غفا: يريد غفا أهله. يتصّد: يترقّب، الرّقباء، الحرّاس.

فهذا البيت تكملة للمعنى الأوّل، فهو يترقّب الحرّاس حتّى يغفلوا فيدخل إليه، ويكون بذلك الشّيء الذي يمنع من وصوله قد بعد، أي أنّ الحرّاس أو الحارس نام نوما خفيفا

---

[1] – د. زكريا صيام، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري – ديوان المطبوعات الجامعية، ص 237.

[2] – المصدر نفسه ، ص 237.

[3] – المصدر نفسه ، ص 237.

(البيت الثالث) فإذا تمكنت فالزيارة خفية يأتــي مواعد وصلنا، متلطفا

في هذا البيت يأتي الموعد متلطّفا أي متأنّيا، بطيئا.

(البيت الرابع) ويكون قبل حلوله أفرشته خدي وطاء للنعال وللحفا

ففي هذا البيت نجد الأمير يبالغ في تكريم الزّائر، حتّى بلغ اِحتفاؤه به أن فرش له الخد لكي يمر عليه حافيا أو منتعلا.

(البيت الخامس) ويكون بيت نزوله، قلبي الذي وحياتهم – من حب غيرهم – عفا

وحياتهم: صيغة قسم، عفا: هلك ومضى هنا تعبير بليغ للمحبة والشّوق أي لهم مكانة عالية وغالية في قلبه.

ففي هذا البيت نجد الأمير يجعل قلبه هو المكان الذي ينزل فيه الزوار لشدة شوقه لأهله وأصحابه، وكما نجده ينكر حبه للآخرين ما دون سواهم.

(البيت السادس) ضيف له نزل لدي – كرامة – كبد، شواها البعد في جمر الجفا

نزل: مكان النزول والإقامة، وهو المراد في البيت، إلى تقديم الكبد طعاما باعتبار الكبد قد تمّ شواؤه في جمر الجفاء فهو في هذا البيت يشبه حالة شوقه لنزول بعض الأحباب والضيوف في إقامته بالكبد الذي شوي في جمر الجفاء، لأنّ البعد والفراق توصف على أنّها مشوية ومزلفة (شواها البعد)

(البيت السابع) يا سعد، أنت كنت البشير بوصله فلقد أتيت على المسرّة والوفا

يا سعد: لا يقصد بهذه الصيغة شخصا معينا بذاته، <<سعد>> و<<مساعد>> بينهما جناس، يا سعد المساعد في حدوث هذا الاتصال مع الأهل.

(البيت الثامن) لو أنّ نفسي لي، إليك بذلتها وأراه بذل مقصر، ما أنصف

يقصد بهذا البيت: لو تكون مساعد بهذا القدر لأهديتك نفسي كلّها، وهذا قليل مقارنة بالعطاء الكثير.

(البيت التاسع) وتكون يا سعد، المساعد للذي من هجر من يهواه، صار على شفا

سعد لا يقصد هنا شخص معين، كما نجد جناس بين <<سعد>> و<<مساعد>>، شفا: حافة جاء في قوله تعالى:<< وكنتم على شفا حفرة من النّار فأنقذكم منها>> فهو يقول أنّ الذي هجر من يهواه أصبح على الحافة، وذلك لشدّة الشوق للذين يهواهم.

(البيت العاشر) لم يبقى يوم البين، والهجر الذي خلقا لتعذيب الأحبة مسعفا[1]

يوم البين يعني به الفراق.

(البيت الحادي العاشر) إلاّ صبابته، وجسما قد غدا ملقى، كسُت بالفلا لن يخصفا[2]

صبابة الشيء: بقيته، السُت: الغربة، الفلا: الصحراء أو الأرض المقفرة.

يخصف: يصلح حاله بعد فساد، يرقع الشيء إذا تخلله ثقوب، فهذا البيت حوى صورة فنية رائعة، وقد اِنتزع عناصرها من صميم البيئة البدوية، ولعل هذا الإبداع يرجع إلى تجربة الأمير الحيّة في الصّحراء فقد شبّه جسم المحب الذي تآكل مع مرور أيام الفراق – حتى ذاب ويبس وشابه قربة أكل الدّهر عليها وشرب ثمّ ألقيت على قارعة الطريق تحت وهج الشّمس وقرّ البرد فلن يصلح حالها مرقع، ولن تفيد في شيء.

2- معاني القصيدة:

فالأمير عبد القادر الجزائري في هذه الأبيات يصوّر لنا مدى شوقه الكبير لأهله وأحبته وطيلة غيبته عنهم. فأخذ يرسل الدعاء إلى اللّه سبحانه وتعالى كي يفرّج همّه ويزيل كربه. وهذه الأبيات من بين توسلاته لأحبته بالمجيء لزيارته، التي جاء بخواطر الأسى والشوق الكبير والعميق، وكذالك بالألم والحنين... من حالاته التي كانت تعبر عن معاناته واِشتياقه ولشدّة شوقه أصبح يبالغ في تكريمه لزواره، حتّى بلغ اِحتفاؤه بهم إلى أن فرش لهم الخدّ منتعلا وحافيا وجعل قلبه هو مكان نزولهم وإقامتهم.

3- ظروف النّص:

كان الأمير قائد ثورة، وبويع بالإمارة، شارك في المقاومة الجزائرية ضد قمع الفرنسيين وهيمنتهم على الأراضي الجزائرية، شارك في عدّة ثورات، و كان له صدى كبير في تحقيق الانتصارات، وعندما كتب هذه القصيدة كان أسيرا في سجن <<أمبواز>> بفرنسا، تاركا أهله وأصدقائه وأحبته، وكتب الكثير من القصائد وأجملها عن الغربة والشّوق والحنين.

4- شاعرية الأمير في النص:

فالأمير عبد القادر الجزائري متفاعل جدا مع النّص، والذي يزيد ذلك وضوحا إحساسه بالغربة والشوق إلى أهله وأصدقائه وأحبته الذين اِشتاق إليهم لدرجة دعوتهم إلى زيارته في الخفاء

[1] –د. زكريا صيام، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، ص 238.

[2] – المرجع السابق، ص238

وترقّبه للحرّاس حتّى يغفلوا ليدخل إليه زائره ومقابلته بأقصى ما يستطيع، وللمحبة والشوق الذي يختلج خواطره ينكر حبّه للآخرين ما دون سواهم، للمكانة العالية والغالية في قلبه فمشاعر الأمير صادقة كلّ الصّدق، فكلماته وألفاضه وأسلوبه كلّها موحية إلى حقيقة حاله في الزنزانة بسجن أمبواز <<فرنسا>> الذي عان فيه الغربة والشوق والحنين إلى أهله وأصدقائه وأحبته فصاغ معانيه بأسلوب قوي و متين، و بألفاظ قويّة وفصيحة.

.فالنّص مفعم بأحاسيسه ومشاعره المرهفة أي (أحاسيس الأمير المصورة في النص)، ونفسيته المتعبة والمهلوسة لزيارة أهله وأحبته له، وذلك لشدة الشّوق المولع فيه. فالمضمون بكلّ أبعاده حاضر بصدق يتفاعل معه بما يناسبه من ألفاظ ومعاني وصور وأساليب وحتى المعجم

5- موسيقى النّص/ الإيقاع:

القصيدة من بحر (الكامل) متفاعلن، متفاعلن، متفاعلن

حرف الروي الذي اِعتمده الأمير عبد القادر الجزائري في هذه القصيدة ذه القصيدة "الفاء" الذي تمّ الالتزام به في كلّ القصيدة، والضرورة الشّعرية ظهرت في بعض القوافي:

خفا ← خفاء ، الوفا ← الوفاء

البيت الأوّل: /0//0/ /0//0/ /0//0/ /0//0/

/0//0/ /0//0/ ///0//0

البيت الثاني: /0//0/ /0//0/ ///0//0/

/0//0/ ///0// ///0//0/

ولكن تظهر زحافات وعلل

نوع القافية: 1-/0//0 6- /0//0

2-/0//0 7- /0//0

3- /0//0 8- /0//0

4- /0//0 9- /0//0

5- /0//0 10-/0//0

فالقوافي في هذه القصيدة كلّها من نفس النّوع (/0//0) .

6- دراسة الأبيات دراسة أدبية:

1) من حيث الأسلوب والمعاني: هذه القصيدة كتبها الأمير عبد القادر وهو في زنزانته سجينا في أمبواز بفرنسا، تحدث فيها عن شوقه وحنينه إلى أهله و أصدقائه، والحسرة على لقائهم. فالشّاعر هنا صاغ المعاني بأسلوب صادق، وقوي جدا معبرا عن حالة الشاعر التي يعانيها من جراء اِشتياقه الكبير لأهله وأحبته في زنزانة السّجن.

2) من حيث العبارات والألفاظ: عبارات الأمير عبد القادر الجزائري قويّة ومعبّرة عن المعنى الموحي إلى عاطفته الصّادقة والجيّاشة فهنا توافق كبير بين الألفاظ التي اِستعملها الشّاعر وبين معانيها والمواضيع التي عالجها. والذي ساعده في إيصال معاناته اِعتماده على معجم الفراق والهجرة والعذاب كما نجدها في هذه القصيدة التي تتمثّل في(خفاء، رقباء، مانع، الزّيارة، خفية يوصله، هجر، الهجر، التعذيب...) فالمعجم ثري بالألفاظ الدّالة على عذاب الشاعر في سجنه.

3) العاطفة: عاطفة الشّاعر هي عاطفة شوق وحنين إلى الأهل والأحبّاء. والحسرة على لقائهم وزيارتهم له، ترتبط بوضعه كسجين بزنزانته في سجن أمبواز بفرنسا، وحالته النفسيّة المغتربة المحترقة شوقا للأهل والأحباب والأصدقاء. وذلك بحضور الشّاعر بجوارحه(قلبي، نفسي) المذكورة في أبيات القصيدة، وبجسده(خدّي، كبدي).

4) الصور البلاغية: لم تخلو هذه القصيدة من الصّور البلاغية، فنجد كلّ من الكنايات والتشبيهات، وحتّى الاستعارات والمجاز أيضا المعتمد، لتقوية المعنى أكثر، ويظهر ذلك في هذه الأبيات:

- أفرشته خدّي ⟵ اِستعارة
- و يكون بيت نزوله قلبي ⟵ اِستعارة، وكناية أيضا عن شدّة الشوق بحيث جعل قلبه مكان نزول أحبّته
- كبد شواها البعد ⟵ اِستعارة أيضا بحيث شبّه حالته النّفسية من الشّوق الكبير بالكبد المشوي، لأنّ الكبد رمز للمحبة العالية وصلة الرّحم بين النّاس، وعندما يكون البعد والفراق توصف على أنّها مكوية ومزلفة أي شواها البعد.

ب- **تحليل قصيدة البارودي**

"لبيك يا داعي الأشواق":

أبيات من قصيدة "لبيك يا داعي الأشواق":

لبيك يا داعي الأشواق من داعي	**أسْمَعْتَ قلبي، و إن أخطأتَ أسماعي**
مُرني بما شِئْتَ أبْلُغْ كلّ ما وَصَلَتْ	**يدي إليه فانّي سامع واعـــي**
فلا ورَبّكَ ما أصغي إلى عـذل	**ولا أُبيح حمى قلبي لخـــدّاع**
إنيّ امرؤ لا يرد العذل بادرتـــي	**ولا تفلّ شباة الخطب إزماعـــي**
أجري على شيمة في الحبّ صادقة	**ليست تهمّ إذا ريعت بإقلاعـــي**
للحبّ من مهجتي كهف يلوذ بـه	**من غدر كلّ اِمرئ بالشّر وقـّاع**
بذلت في الحبّ نفسي وصفي غاليـة	**لباخل بصفاء الودّ منّـــاع**
أشكو إليه ولا يصغي لمعذراتـي	**من غير ذنب جئته النفس أو داعي**
ويلاه من حاجة في النّفس هام بـها	**قلبي وقصّر عن إدراكها باعـي**
أسعى لها، وهـي غير دانيـة	**وكيف يبلغ شأوَ الكوكب السّاعـي.[1]**

1 -**شرح الأبيات:**

(البيت الأول) لبيك يا داعي الأشواق من داعي أسمعت قلبي، وإن أخطأت أسماعي[2]

- يستهل الشّاعر بيته هذا بـ "لبيك" التي تعني لزوما لطاعتك أو أنا مقيما على طاعتك.

وداع اِسم فاعل من دعاه أي ناداه، وأخطأت أسماعي يعني أخطأ المسافر الطريق مثلا أي عدل عنه و اِنحرف ومال، وأخطأ الرّمي الغرض إذا لم يصبه.

فالشاعر هنا في هذا البيت يتخيّل أنّ الأشواق تدعوه وتناديه نداء يعيه القلب ولا تسمعه الأذن فهو يجيب دعاءها، ويلبّي نداءها، ويقيم على طاعتها.

[1] – سمير إبراهيم بسيوني، ديوان محمود سامي البارودي، ج2، ص 244

[2] – محمّد إبراهيم سليم، شعراء العرب والإسلام محمود سامي البارودي، دار الطلائع للنّشر والتوزيع والتصدير، ص79.

(البيت الثاني) مرني بما شئت أبلغ كلّ ما وصلت يدي إليه، فانّي سامع واعي[1]

كلّ ما وصلت يدي إليه أي كلّ ما اِستطعته وقدرت عليه، وواع: حافظ. في هذا البيت يقول لداعي الأشواق: مرني بما شئت و يقصد به أطعك في كلّ ما اِستطعته وقدرت عليه، فانّي سامع لدعائك، و واع لندائك ومطيع لأمرك.

(البيت الثالث) فلا وربّك ما أصغي إلى عذل ولا أبيح حمى قلبي لخدّاع [2]

فلا وربّك: فالشّاعر يبدأ بيته هذا بالقسم أي أقسم بربّك، وأصغي أي أميل بسمعي، والعذل من اللوم، وأبيح مثلا تقول أبحتك الشّيء أي أحللته له، حمى قلبي ويقصد به قلبه الشبيه بالحمى وهو المكان المحمي الذي لا يقرب ولا يجترأ عليه، وفي الشطر الثاني إشارة إلى العذل في هذه الحال نوع من الخداع.

(البيت الرابع) إنّي امرؤ لا يرد العذل بادرتي ولا تفل شباة الخطب إزماعي[3]

البادرة: هي ما يبدر من الإنسان عن حدّته وغضبه من قول أو فعل، و المراد بالبادرة في هذا البيت شدّة العزم، وقوّة الإرادة، وتفلّ تكسر وتضعف ونجد أنّ الشّاعر اِستعمل كلمة شباة السّنان والسّيف ونحوهما أي حدّه وشفرته. والخطب هو النازلة الشّديدة من نوازل الدّهر. والإزماع هو العزم مصدر أزمعت الأمر أي عزمت عليه، ومضيت فيه.

ففي هذا البيت يفخر بأنّه شديد البأس وقوي العزم وقاطع الإرادة، لا يرده العذل ولا يصرفه اللّوم ولا تضعفه حدّة الخطوب وشدّة النوازل.

(البيت الخامس) أجري على شيمة في الحبّ صادقة ليست تهمّ إذا ريعت بإقلاع

جرى الإنسان على الشيء أي أخذ فيه ودام عليه حتّى صار من عادته وطبيعته وشيمة: خلق وطبيعة، و ريعت : أخيفت، والإقلاع عن الأمر تركه والكفّ عنه. فيقول أنّه يجري في حبه على طبيعة صادقة قويّة لا تهمّ بالإقلاع إذا أخيفت.

(البيت السادس) للحبّ من مهجتي كهف يلوذ به من غدر كلّ اِمرئ بالشّر وقّاع

المهجة: دم القلب، والنّفس والروح، والماد بها هنا: القلب، و لكهف: كالمغارة والبيت المنقور في الجبل. يلوذ به: ووقّاع: يغتاب النّاس. يقول : إنّ للحبّ في قلبه ملجأ وملاذا يفرّ إليه من غدر الغادرين و شرّ الأشرار.

---

[1] – محمّد إبراهيم سليم، شعراء العرب والإسلام محمود سامي البارودي، ص79.

[2] – المرجع نفسه، ص79.

[3] – المرجع نفسه، ص79.

و المعنى أنّه متمكّن من نفسه لا يضعفه غدر غادر، ولا وقيعة وقاع يسعى بين النّاس بالشّر والتفرقة والفساد.

(البيت السابع) بذلت في الحبّ نفسي وهي غالية لباخل بصفاء الودّ منّاع

باخل هي صفة من البخل. و مناع صيغة مبالغة من المنع فيقول أنّه جاد بنفسه الغالية، وبذلها في الحبّ، و لكنّه لم يجد ممن أحبه غير الإعراض والمنع والبخل بصفاء المودّة، وخالص المحبّة.

(البيت الثامن) أشكو إليه ولا يصغي لمعذراتي من غير ذنب جنته النّفس أو داعي

أشكو إليه: أظهر له ما أكابده وأعانيه، والمعذرة : العذر والحجة. يقول: (أنّه جاد بنفسه الغالية وبذلها في الحبّ ولكنّه لم يجد) أنّه يشكو لهذا الباخل المناع ما يكابده ويعانيه من تبريح الشوق وحرقه الوُجد، وأنّه حينما يعتذر إليه لا يجد منه اِستماعا على الرّغم من براءة ساحته، وظهور حجته .

(البيت التاسع) ويلاه من حاجة في النّفس هام بها قلبي، وقصّر عن إدراكها باعي

ويل: كلمة عذاب، والمراد بالحاجة : قربه من ديار الحبيب وهي مصر. وهام بها: أغرم بها وتعلّق وقصر: عجز، ولم يقدر، والباع: مسافة بين الكفين إذا بسطتهما يمينا وشمالا، أو قدر مدّ اليدين،والمراد به الجهد و القدرة.

(البيت العاشر) أسعى لها، وهي غير دانية وكيف يبلغُ شأو الكوكب السّاعي

أسعى لها: للحاجة. وغير دانية: غير قريبة، ومنى: متعلق بدانية.

والشأو: الغاية والأمد، وهو مفعول يبلغ و<<السّاعي>> فاعله.

فالشّعر هنا بحاجة إليها وهي قريبة منه، ولم يستطع أن يبلغ غايته بذلك البعد.

2- معاني القصيدة:

ترتبط بوضعه كسجين مخفي، وحالته النفسيّة المغتربة المحترقة شوقا للحرية والأحباب والوطن، و بما أنّها جماليات مفقودة، فقد حاول خلقها ثانية عن طريق طيف الحبيبة الشوق ليسلو بها ويخفف أساه، ويواصل الوشائح عبر الرّوح والخيال و الذّاكرة.

وهذه الأبيات العشرة تنقسم إلى أربعة مقاطع تتصل بشوق الشّاعر و اِنزياحه إلى عوامل المتعة الحميمية المفقودة.

❖ **الاستهلال:** (لبيك ... قلبي الخدّاع): اِنتفض قلبه شوقا وحنينا فلبّاه بوجدانه المكلوم، ولو أنّ النداء لم يعبر مسامعه. اِهتزّ القلب ملبيا مطيعا واعيا مؤملا بداعي الأشواق الذي يصدقه بكلّ جوارحه فيرهن له نفسه وينفر من الحاقدين الكاذبين والمخادعين، يؤكد على أنّ دليله المخلص الصّادق هو قلبه وحده النّابض صدقا ومحبة.

❖ **الفخر:** (إنّي اِمرؤ ... بالشّر وقّاع): وسيلة البطل الأسير لرد الاعتبار لوجوده، فيطرح صفات العربي الأصيل الأبي المبنية على الحكمة و العقل والمحبة والشّجاعة،و من هنا فلا سبيل للعذل والرّاغبين في كسر شوكة عزيمته بالخطوب والمصائب، ويوغل في فخره، فيشبّه مكارمه بالنّهر الجاري بصفاء أخلاقه الثابتة أمام صواعق ومفازع الأعداء، و يتحدّاهم بأنّه جعل من مهجته كهفا حصينا للحبّ، يفرّ إليه كلّما أحسّ بالأذى و المكر يتربص به شرا.

❖ **عتاب:** (بذلت في الحبّ... الكوكب السّاعي): يجد الشّاعر مبرّرا لعداوة الأعداء لكنّه يعجز عن تفسير جحود حبيبته، إذ تواجه محبّته و جوده بنفسه الغالية العزيزة الودودة بالبخل والشّك رغم اِعتذاراته وشكواه وهنا يصل الألم ذروته فيتأوّه الشّاعر مولولا عن قصوره في إدراك مناه بعدما هامت نفسه سعيا وراءه، وكأنّه نجم بعيد في سماء جدّ عالية.

3/- ظروف النّص:

كان البارودي رجل حرب وسياسة، وشارك في ثورة عرابي، في مناهضة الاحتلال البريطاني فنفي إلى جزيرة <<سرنديب>> مدّة سبعة عشر عاما، تاركا أهله بمصر وفي منفاه كتب أجمل قصائده عن الغربة و الشّوق والحنين.

4/- شاعرية البارودي في النّص:

تفاعل في بلورت شاعرية النّص، وإحساسه بالغربة ونفسية الأبية، جعله يرتبط بجدية بالواقع وعوامله النّفسية الصّادقة، إلى جانب الشّخصية المرتهنة للفروسية والمقاومة، والمشبّعة بالقيم الأخلاقية الأصيلة، مما جعله زعيم النّهضة، وباعث جذوة الشعر العربي، إذ عاد به إلى منابعه

الصّافية، فصفّت أشعاره وفصحت لغته وجادت أساليبه جزالة وبيانا، بابتعاده عن التكسّب واللّهو واللّغو.

تمثّل القصيدة نموذجا لمحاكاة البارودي للموروث الجاهلي والعبّاسي من خلال مفردات اللغة المعتمدة، ومن خلال الصّور الفنية ذات المعجم والرّمز الطبيعي في توظيفه للتشبيه والمجازات وهي خاصية التصوير القديم. وكذا في وظيفة المحسّنات البديعية و دورها في البيان والتبيين.

بعث البارودي الشّعر الشعر العربي وأعاد له ذاكرة الفصاحة والبيان وعمود الشّعر، وقيم الأصالة المعنوية والفنيّة والنّفسية، وهي قيم العربي الحرّ، المتذوّق لجمال الإيقاع و الشّعر الفصيح.

فالنّص مفعم بحسه، ونبضه ونفسيته، مما يعطيه صورة عن التجديد والإبداع عند البارودي. فالمضمون الواقعي بكلّ أبعاده والنّفسي حاضر بصدقه<<مثال سرنديب>> يتفاعل معه بما يناسبه من معاني ومعجم وصور وأساليب.[1]

5/- موسيقى النّص/ الإيقاع:

القصيدة من بحر البسيط (مستفعلن/فاعلن) حافظ فيها على جمالية الاستهلاك التقليدي بإعتماد التصريح (داعي – أسماعي)أشبع قافيته بمدّ مكسور ليوصل وزن (فعلن).

إستوعب البارودي روح الإيقاع الأصيل من خلال التوافق بين المفردات وموضوعاتها، ومن خلال الصّيغ و الأوزان، ساعيا إلى تحقيق معنى الشّعر في روح الإيقاع المناسب، والمتدفق في سلاسة وجزالة.

وفي القصيدة شعر بإيقاعاته المتنوّعة (الترادف، التّكرار للأصوات أي الإيقاع الداخلي) ففي المقدمة كان شجيا هادئا مناسبا لموضوع الشّوق. وعندما تحدّث عن العذاب والمنفى، إختار إيقاعات قويّة الجرس تهزّ المسامع. وهذا التنوّع السّلس يدل على تمكّنه وفهمه لأهم وظائف الإيقاع. وهي خلق صورة فنّية مؤثّرة مكملة بدلالات نفسية قويّة. [2]

6/- دراسة الأبيات دراسة أدبية:

1) من حيث الأسلوب و المعاني: هذه القصيدة من شعر المنفى تحدّث الشّاعر فيها عن شوقه وحنينه إلى مصر وأهله بما فيهم زوجته.

---

[1] – من الأنترنات: منتدى القصيدة العربية.

[2] – من الأنترنات: منتدى القصيدة العربية.

صاغ هذه المعاني بأسلوب قوي، رصين، جزل، تمسّك بالصياغة العربية القديمة.

2) من حيث العبارات والألفاظ: عبارات البارودي قويّة معبّرة عن المعنى،فهناك توافق بين المفردات و مواضيعها.ساق هذه العبارات بألفاظ قوية فصيحة. وفي نفس الوقت نراها سهلة مناسبة للمعنى. وألفاظ جزلة بعيدة عن التعقيد اللّفظي فصيحة كما أنّ تراكيبه وعباراته جاءت سهلة سليمة. وأفكار متسلسلة وواضحة.

3) العاطفة: عاطفة الشاعر هي عاطفة شوق و حنين، ترتبط بوضعه كسجين منفي، و حالته النّفسية المغتربة المحترقة شوقا للحرّية و الأحباب و الوطن.

4) الصّور البلاغية: قد لا يكون الموضوع والمعنى بحاجة إلى اِستخدام الصّور البلاغية أو الجمالية ومع ذلك فالقصيدة لم تخل من هذه الصّور، فنجد كلّ من الكناية والتشبيه والاستعارة و التشبيهات والمجاز، كما نجده موضحا في هذه الأبيات.

1 -أسمعت قلبي ← اِستعارة مكنية فيها تشبيه بحيث شبّه القلب بكائن حيّ له حاسة السّمع و أذن يسمع بها.

2 -لبيك يا داعي الأشواق← فالبارودي جعل من الشّوق كائنا حيا يحدّثه ويحاوره عن حالته و أشواقه و حنينه، فجعل له أوامر وطلبات كما هو موضّح في قوله: مرني بما شئت.

أبلغ بكلّ ما وصلت ← وهي أيضا اِستعارة مكنية، شبّه فيها الشّوق بكائن حي.

3 -لا أبيح حمى قلبي ← تشبيه بليغ، شبّه القلب بالدّار و جعل له حمى، فالمشبّه هو القلب والمشبّه به هو الدّار الذي جعل له حمى – أي القلب – .

4 -للحب في مهجتي كهف يلوذ به ← وهي كناية و اِستعارة، كناية عن شدّة الشوق والحنين الذي هو مخزّن في قلبه، ولشدّة هذه الحالة أصبح قلبه كالكهف. واِستعارة أيضا في نفس الوقت.

5 -يبلغ شأو الكوكب السّاعي ← اِستعارة، نجد فيها تشبيه بليغ أحد أطرافه مصر التي شبّهها بالكوكب البعيد المنال.

2. خصائص أدب المنفى:

المنفى: هو نأي عن المكان (الوطن والثقافة)، مغلف بالطغيان والمرارة والشّقاء.

و من خصائص أدب المنفى :

- ✓ الحنين إلى الوطن الأم وذكر مآثره
- ✓ الشكوى من الغربة والتصريح بالألم كالبكاء على فراق الأحبة.
- ✓ الشوق إلى الأحبة عامة والأسرة خاصة.
- ✓ المزج بين الشوق والقضايا السياسية أو الاجتماعية التي كانت سببا فيه.
- ✓ الوحدة العصرية تكون القصيدة بنية حية، وبناءا متكاملا تتناغم وحداته فلا يمكن فصلها أو عزلها
- ✓ الوحدة الموضوعية: وتعني أن يتحدّث الشّاعر على موضوع واحد ولا يتعداه.
- ✓ الصورة الشّعرية: تركيب لغوي يجسد الشاعر من خلاله معنى العقل أو عاطفي متخيل. وتقوم الصورة الشعرية على الخيال وصورة البيان والرمز.
- ✓ وصف جمال الأوطان التي نفي إليها
- ✓ التعبير عن خلجات النّفس بلغة عذبة ومعاني رقيقة مقتفين أثار الشعراء القدامى، البوح بشوق والتعبير عن المكبوتات.

III. الأسبقية في الريادة و إحياء الشعر العربي:

1. الإحياء، الحداثة و المعاصرة للأمير عبد القادر أم للبارودي؟

حين نكون، من خلال كل ما تقدم، قد ألمحنا إلى بعض القضايا التي تشكل ارتكازا أساسيا في الميل إلى الإقرار بأنّ الشاعر الجزائري الأمير عبد القادر قد ساهم بقسط وافر في مدّ الجسور بين شعرية مغربية كانت تنبثق من تحت رماد الشّعرية العربية في المشرق التي كانت قد أفل نجمها من استيلاء المماليك العثمانيين على الحكم، شعرية عربية حديثة ومعاصرة قد تجلّت بعض ملامحها، عند الأمير في امتلاكه الجرأة والشجاعة على الإبداع الشّعري في مضامين وقضايا مازالت حتى الآن تشكل المحنة العربية والهمّ الوطني.

عندما نقرأ لأستاذ جيل النهضة العربية د/شوقي ضيف ومحمد بنيس ومحمد سليم إبراهيم وهذا الأخير قد ألّف كتابا تحت عنوان –محمود سامي البارودي رائد الشّعر العربي الحديث– وكذا أدونيس حينما قال: <<البارودي>>، <<النهضة>>، <<الحداثة>>. وكذا عبد المنعم خفاجي الذي تحدث كثيرا كغيره على أنّ البارودي باعث الإحياء للشّعر العربي، عند قراءتنا لكل هذا أتساءل: ما موقع الأمير عبد القادر من كل هذا؟

إنّ مثل هذا السؤال وغيره يدفع بنا نحو تقديم ورقة مفصلة قدر المستطاع عبر بعض القضايا التي تساهم في التأكيد على أنّ الأمير أسبق من البارودي ولعل ما سوف نقوله الآن يحمل دليلا قاطعا على ما نذهب إليه:

- ✓ إنّ الأمير ولد 1807، والبارودي 1839، مما يدل على تقدم الأمير على البارودي في العمر وفي تجربة المقاومة و النضال والحياة العسكرية وفي تجربة الإبداع الشّعري على الخصوص.
- ✓ إنّ الأمير ولد في الرّيف و تربى فيه مما صعّب مهمّة تكوينه وتعلمه تعليما نظاميا حديثا فقد شاءت الأقدار أن يقضي أجمل أوقات شبابه في الحرب والمعارك حتى وصل إلى المنفى دون أن يتمكّن من صقل موهبته بالاحتكاك بالأساتذة الحداثيين والمراجع والدواوين بينما البارودي قد توفرت له كل شروط التعليم و التربية حتى إنّ أمه كانت تحضر له أساتذة ومعلمين إلى المنزل.
- ✓ إنّ الأمير اِمتلك البطولة والشّجاعة من الرّيف الجزائري ومن الطبيعة الجزائرية المكسوّة جبالا وشعابا، وصحاري، وزاد من تمسّكه بها معاركه وحروبه، وهو شاب صغير لا يتجاوز عشرين سنة، مما يجعل قربه في صدق تجربته الشّعرية في أغراضها ومبانيها ألصق وأصدق من البارودي الذي بعدما شبّ عن تربية الخدم والمربيات في القصور، واِلتحق في مدرسة حربية ثمّ عيّن ناظرا فوزيرا للمعارف والأوقاف إلى غير ذلك من الرتب.

✓ بالنظر إلى تكوين الرجلين نكتشف أنّ تكوين الأمير كان تكوينا دينيا فقهيا تحت رعاية الزاوية وإمكانياتها المتواضعة جدا، مما قد يعيق شاعريته ويطمس موهبته، في حين كان تكوين البارودي عصريا وحديثا مما ساعده على تفتيق العبقرية الشّعرية.

غير أنّ كلا منهما يشتركان في أنّهما رجلي حرب، شاعران، عانيا المنفى...

وما يمكننا أن نلاحظه على الكتّاب الذين سبق ذكرهم في تلك الأحكام العامة التي تهضم حقّ الأمير عبد القادر الذي لم يذكر حتّى اسمه في قائمة شعراء الأمّة العربية ولم يُشر إليه بنصف كلمة على الرّغم من أنّ شهرته تطبق الأفاق العالمية وليس العربية فقط.

فمقابل ذلك نجد رأي أحمد عبد المعطي حجازي ينم على رؤية موضوعية واطلاع واسع على لبّ الموضوع. فقد كان مقتضبا وغير صريح في وضع الأمير في مكانته الحقيقية وذلك اِستنادا إلى ذكره وإقراره بأنّ الفروسية و البطولة ثابتة للأمير قبل البارودي. وذكر أنّ الشاعرية معترف بها للبارودي على حساب الأمير، وأكّد على أنّ الأمير سابق زمنيا على البارودي ومادام الأمر ذلك فلماذا لم يقل بصراحة ووضوح:<<الأمير عبد القادر هو الرائد والمحدث للشّعر الحديث، وليس البارودي>>

2. الأمير عبد القادر، البارودي و فرضية التأثر و التأثير:

حسب ما اِعتمدناه في العنصر السّابق الذي خلصنا فيه إلى التأكيد على أنّ الأمير عبد القادر هو رائد الإحياء والحداثة في الشعر الحديث وليس البارودي، فإنّنا نرى بأنّه من الممكن جدا أن يكون محمود سامي البارودي قد تأثّر تأثيرا شديدا في سلوكاته وفي رؤاه وفي إعجابه بمعانقة القصيدة العربية الكلاسيكية وبكل ما نضج به من قيم البطولة والوفاء والانصياع لجمال المرأة وتمكنها من تلابيب قلب البطل الذي تتهيّبه الفيافي وحلكة الليالي وما تختزنه الفلوات و ذلك اِستنادا للعوامل التالية:

✓ إنّ الوطن العربي في عمومه كان يعاني من التسلّط و الوهن والضحالة العملية الإبداعية مما دفع ببعض دارسي الأدب العربي في الجزائر بأنّ الشعب<<...لم يجد متنفسا لمكوناته إلاّ في القصيدة الشعبية ...>>

✓ كان هناك علاقة أسرية و دموية بين الحكام، الدايات، البايات في الجزائر وبين الحكام المماليك في مصر والشام، فكان من الضروري أن يُعرف عندهم اِسم الأمير عبد القادر.

هذا الشاب الذي ظهر في الجزائر وهو يقاوم الجيوش الفرنسية التي كانت تشكل القوة الأولى في ذلك العصر.

✓ قد مر الأمير عبد القادر مع أبيه الشيخ محي الدين في طريقهما لأداء فريضة الحج على الإسكندرية والقاهرة فقد اِستقبل اِستقبالا حارا. حتّى بات وجودهما فوق أرض مصر حدثا وطنيا قويا. معنى ذلك أنّ العائلات الأرستقراطية في مصر كانت أولى بمعرفة هذا الحدث و التي كانت من ضمنها عائلة البارودي ذات السلطة والجاه في تلك الفترة 1828.

✓ إنّ الأمير عبد القادر قام بمقاومة لا مثيل لها ضد أكبر قوة اِستعمارية، فقد جلبت شخصيته العسكرية والدينية والأدبية جدل ونقاش، ونال الاحترام والتقدير على المستوى العربي و العالمي فكتب عنه الأمريكيون، الألمان والفرنسيون كتب ودراسات...

✓ إنّ تكوين البارودي ومهنته العسكرية باعتباره ضابطا في الجيش، يلتقي ويتداخل مع الأعمال العسكرية والسياسية ومعاهدات واتفاقيات التي تفرض كلّها عليه أن يعرف أنّ الأمير عبد القادر قائد مقاومة الجزائر وشاعر العروبة بلا منازع في تلك الحقبة.

✓ إنّ المنطقة التي نفي إليها الأمير عاصمتها دمشق مما يجعل من المستحيل أن لا يعرف البارودي الأمير وأن لا يسمع ببطولاته و بشعره.

✓ كان الأمير عبد القادر من المدعوين الشرفيين مع ملوك أو رؤساء العالم في ذلك الوقت لحفل اِفتتاح قناة السويس، حينها كان البارودي شخصية لها وزنها ومكانتها، وكانت قد أخذت تجربة معتبرة في تقدير الرّجال والاِقتداء بمواقفهم، لذا يصبح من المستحيل أن لا يعرف الأمير عبد القادر وأن لا يعجب بمواقفه و أشعاره وبطولاته.

نظرا لكل هذه الاعتبارات و غيرها أرى بأنّ محمود سامي البارودي لابد أن يكون قد تأثّر بالأمير عبد القادر. لأنّه يفترض بالبارودي أن يكون عالما به وملما بتفاصيله قبل غيره في الوطن العربي أو في العالم الغربي نظرا لتوفر الأمير على خاصيتين يكبرهما البارودي في الرجل هما البطولة والمقاومة الممزوجتين بروح الحداثة والتجديد، والشّعر بموروثه الأصيل وقدرته في التعبير على خوالج النفوس وأرق المشاعر وأنبل العواطف.

خـاتمة

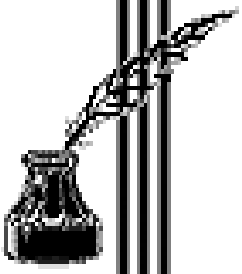

خاتمة:

إن المسيرة التي قطعناها في بحثنا هذا كانت بهدف الوصول إلى الإجابة عن الإشكالية التي سبق طرحها، و سنحاول وضع حوصلة جامعة لما أملنا الوصول إليه.

- الأمير عبد القادر الجزائري، الأسطورة لا تتكرر في تاريخ الجزائر، شعلة الرجل المتكامل الذي أخذ بدفة القضية الوطنية في مقام الرّبان المجيد، لم يبخل على هذا الوطن بعطاء يسّره اللّه له.الجندي المقدام و القائد الصّلب والسّياسي المحنك، و زعيم الدّولة الكفء.
- ما يوحي إلينا من قراءتنا عليه رعه و تصوّفه.
- الأمير طرق كلّ أغراض الشّعر من مدح عتاب، فخر وتوسّل، شوق وغزل.
- كفاحه الشّريف، و نضاله المستميث و جهاده المقدّس.
- تتجلّى عظمة الأمير في واقعيّته، وكونه المناضل و البطولي، شاعر المقاومة والنّضال . بأكثر أيّامه التي كانت في المعارك بين قوقعة السّيوف، أو في الأسر كأسير البال.
- بالإضافة إلى جهود الأمير الجبّارة في المجالين السّياسي والعسكري، استطاع أن يفرض وجوده في السّاحة الأدبيّة.ليجمع بذلك بين الحبّ والحرب، وبين السّيف والقلم . فبنى وشيّد الدّولة ووضع مكانة الأدب الجزائري عاليا وسط باقي أدباء عصره.
- ولذلك تفتخر الجزائر ببطلها العسكري المغوار وشاعرها المجيد الذي لم يبخل بجهوده الماديّة والمعنويّة في سبيل أن تعيش الجزائر بتاريخها النّضالي والثقافي.
- وفي الرّفة الأخرى نجد محمود سامي البارودي الذي طرق ما طرقه القدماء رغم علوّ شأنه وسموّ مكانته في الشّعر لم يتطلّع إلى التّغيير.من أبرز أغراضه الشّعريّة التي لازمته : الفخر،الوصف،الغزل.
- البارودي مقلّد ومجدّد، اقتدى بما جاء به القدماء معتدلا غير مبالغ فيه،كما تطغى عليه مسحة،من ثقافة العصر الحديث،وكما كان ساعيا إلى التجديد ومن بذور التجديد قصائده الوصفية وشعره السّياسي، بدت فيه شخصيته واضحة المعالم.
- الشّعر عند البارودي أقرب إلى الشّعر الذّاتي الذي يعبّر عن مشاعر صاحبه وآماله وطموحاته.لأنّه شعر صادق.
- الشّعر عند البارودي ومضات تلمع في الخيال.
- وقف في الشّعر وفي الحرب وقفة الفارس في وجه الطّغيان، انظمّ إلى الثّورة العُرّابيّة واشترك فيها ثائراً وقائداً، ضابطا مسؤولا وسياسيّا .
- يمكن اعتبار البارودي بإجماع من النّقاد بأنّه مرآة صادقة لثقافة عصره.

- البارودي ذو طبيعة ميّالة إلى الصّدق وشديد الانفعال والتّأثر بما يصيبه وما يصيب أبناء وطنه.
- إلى جانب شعره نجد نثره الذي تميّز بالجمال، فكانت مدرسته شعارها التراث وعنوانها التحفّظ وطموحها التجديد بما يقتضيه العصر.
- يعتبر ديوان شعره الضّخم أحد بصماته التي بقيت في سجّل الشّعر العربي بعد رحيله.
- خلصنا إلى أنّ الأمير عبد القادر قائد مقاومة الجزائر، وشاعر العروبة بلا منازع في تلك الحقبة وهو رائد الإحياء نظراً لتوفّر الأمير على خاصيتين يكبرهما البارودي في الرّجل هما: البطولة والمقاومة الممزوجتين بروح الحداثة والتجديد.والشّعر بموروثه الأصيل وبقدرته في التّعبير عن خوالج النّفوس وأرقّ المشاعر وأنبل العواطف .
- ونظراً لكلّ هذه الاعتبارات وغيرها فإنّ محمود سامي البارودي تأثّر بالأمير عبد القادر الجزائري في موضوع مدوّنتنا ألا وهو الشّعر.

مـلاحق

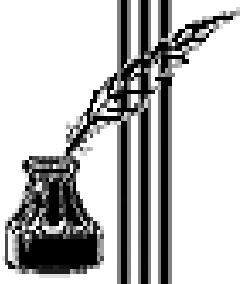

ماذا على ساداتنا، أهل الوفـا لو أرسلوا طيف الزيارة، في خفا
يترصّد الرّقباء، حتّى يغضـلوا ويكون مانع، وصلنا– ليلا – غفا
فإذا تمكّـنت الزيارة خفية يأت مواعيد وصـلنا، متلطفا
وتكون قبل حلوله أفرشتـه خدّي وطـاء للنعال، وللحقا
ويكون بيت نزوله، قلبي الـذي – وحياتهم – من حب غيرهم، عفا
ضيف له نزل لدي – كرامـة – كبد، شواها البعد في جمر الجفا
يا سعد، أن كنت البشير بوصـله فلقد أتيت على المسرة والـوفا
لو أنّ نفسي لي، إلـيك بذلتها وأراه بذل مقصر، ما أنصـفا.
وتكون يا سعد، المساعد للـذي من هجر من يهواه، صار على شفا
لم يبقى يوم البين، والهجر الذي خلقا لتعذيب الأحبة مسعـفا
إلاّ صبابته، وجسما قد غـدا ملقى، كشت بالفلا لن يخصفا

عينيّـة البارودي

لَبَّيْكَ يَا دَاعِيَ الأَشْواقِ مِنْ داعِـي أَسْمَعْتَ قَلْبِي وَإِنْ أَخْطَأْتَ أَسْمَاعِي
مُرنِى بِما شئتَ أبلُغْ كلَّ ما وَصَلت يـدِي إِلَيْهِ، فَإِنِّي سَامِعٌ وَاعِي
فلا ورَبِّكَ ما أُصغِى إلـى عَذَلٍ وَلاَ أُبِيحُ حِمَـى قَلْبِي لِخَدَّاعِ
إِنِّي امْرُؤٌ لاَ يَرُدُّ الْعَذْلُ بَادِرَتِـي وَلاَ تَقُلُّ شَبَاةُ الْخَطْبِ إِزْمَاعِـي
أجرِى عَلى شِيمةٍ فى الحُبِّ صادِقةٍ لَيْسَتْ تَـهُمُّ إِذَا رِيعَتْ بِإِقْـلاَعِ
لِلْحُبِّ مِنْ مُهْجَتِي كَهْفٌ يَلُوذُ بِـهِ مِن غَدرِ كلِّ امرئٍ بالشَرِّ وقَّاعِ
بَذَلتُ فى الحبِّ نَفسى وهى غاليةٌ لِبَاخِـلٍ بِصَفَاءِ الْوُدِّ مَنَاعِ
أَشْكُو إِلَيْهِ، وَلاَ يُصْغِي لِمَعْذِرَتِي مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ جَنَتْهُ النَّفْسُ أَوْ دَاعِي
وَيْلاَهُ مِنْ حَاجَةٍ فِي النَّفْسِ هَامَ بِهَ قَلْبِي، وَقَصَّرَ عَنْ إِدْرَاكِهَا بَاعِي
أسعى لَها وهى مِنِّى غَيرُ دانِيةٍ وكيفَ يَبلغُ شأوَ الكوكبِ الساعِى ؟
يا حبَّذا جُرعَةٌ مِن ماءِ مَحنيةٍ وَضَجْعَةٌ فَوْقَ بَرْدِ الرَّمْلِ بِالْقَاعِ !
وَنَسْمَةٌ كَشَمِيمِ الْخُلْدِ قَدْ حَمَلَتْ رَيَّا الأَزَاهِيرِ مِنْ مِيثٍ وَأَجْرَاعِ
يا هَل أرانِى بِذاكَ الحىِّ مُجتَمِعاً بأهلِ وُدِّى من قومى وأشياعِى ؟
وهَل أسوقُ جَوادِى لِلطرادِ إلى صَيْدِ الْجَآذِرِ فِي خَضْرَاءَ مِمْرَاعِ؟
مَنَازِلٌ كُنْتُ مِنْهَا فِي بُلَهْنِيَـةٍ مُمَتَّعاً بَيْـنَ غِلْمَانِي وَأَتْبَاعِي
إِذَا أَشَرْتُ لَهُمْ فِي حَاجَةٍ بَدَرُوا قَضَاءَهَا قَبْلَ أَنْ يَرْتَـدَّ إِلْمَاعِي

يَخْشَى الْبَلِيغُ لِسَانِي قَبْلَ بَادِرَتِي ... ويُرعَدُ الجيشُ باسمِى قَبلَ إيقاعِى
فَالْيَوْمَ أَصْبَحْتُ لاَ سَهْمِي بِذِي صَرَدٍ ... إِذَا رَمَيْتُ، وَلاَ سَيْفِـي بقَطَّاعِ
أَبِيتُ فِي قُنَّةٍ قَنْوَاءَ قَـدْ بَلَغَتْ ... هامَ السِماكِ، وفاتَتهُ بِأبـواعِ
يَستقبِلُ المُـزنَ ليتيـها بِوابِلِهِ ... وتصدِم الرِيحُ جَنبيها بِزعـزاعِ
يَظَلُّ شِمْرَاخُهَا يَبْسـاً، وَأَسْفَلُهَا ... مكلَّلاً بالنَدى يَرعـى بهِ الراعِـى
إِذَا الْبُرُوقُ ازْمهَرَّتْ خِلْتَ ذِرْوَتَهَا ... شَهماً تدرَّعَ متن تبرٍ بِـأدراعِ
تَكَادُ تَلْمِسُ مِنْهَا الشَّمْسَ دَانِيَةً ... وَتَحْبِسُ الْبَـدْرَ عَنْ سَيْرٍ وَإِقْلاَعِ
أَظَلُّ فِيهَا غَرِيبَ الدَّارِ مُبْتَئِساً ... نابِى المضاجعِ مـن همٍّ وأوجـاعِ
لا فـى " سرنديبَ " خِلٌّ أستعينُ بـهِ ... عَلَى الْهُمُومِ إِذَا هَاجَتْ، وَلاَ رَاعِي
يَظنُّنى من يرانِى ضاحِكاً جَذِلاً ... أنِّى خَلِىٌّ ، وهَمِّى بينَ أضـلاعِى
ولا، وربِّكَ مـا وَجدِى بِمُندرِسٍ ... علـى البِعادِ ولا صَبرِى بِمطواعِ
لَكنَّنِى مالِكٌ حَزمِى، ومُنتَظِـرٌ ... أَمْراً مِنَ اللَّهِ يَشْفِي برْحَ أَوْجَاعِـي
أَكُفُّ غَرْبَ دُمُوعِي وَهْيَ جَارِيَـةٌ ... خَوْفَ الرَّقِيبِ وَقَلْبِي جِدُّ مُلْتَـاعِ
فَإِنْ يَكُنْ سَاءَنِي دَهْرِي، وَغَادَرَنِي ... رَهْنَ الأَسَى بَيْنَ جَدْبٍ بَعْدَ إِمْرَاعِ
فَإِنَّ فـى مِصرَ إخواناً يَسُرُّهمُ ... قُرْبِي، وَيُعْجِبُهُمْ نَظْمِي وَإِبْدَاعِـي

قائمة المصادر والمراجع

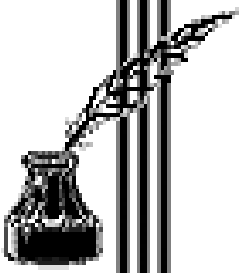

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

1. أحمد سيّد محمد المختارفي الأدب والنصوص والنقد والتراجد الأدبية،مصلحة الطباعة للمعهد التربوي الوطني،الجزائر.
2. الأميرة بديعة الحسني الجزائري،الأمير عبد القادر حقائق ووثائق،بين الحقيقة والتحريف،دار المعرفة،ط2.
3. ديوان البارودي،ضبط وتحقيق على الجازم ومحمّد شفيق معروف ط،دار المعارف بالقاهرة،1971/1391م.
4. ديوان محمود سامي البارودي،شاعر السيف والقلم،الأعمال الشعرية الكاملة، جمع وتقديم وتعليق سمير إبراهيم بسيوني،حقوق الطبع والنشر محفوظة،مكتبة جزيرة الورد.
5. سلمان نور، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير،دار الملايين،ط1،جانفي،1981.
6. شارل هنري تشرشل،حياة الأمير عبد القادر،ترجمة ابو القاسم سعد الله.
7. شوقي ضيف، البارودي رائد الشعر الحديث،دار المعارف،ط5،القاهرة،1988.
8. صلاح الدين محمد عبد التواب،مدارس الشّعر الحديث،دار الكتاب الحديث،حقوق الصلح محفوظة1425هـ/2005م.
9. صيام زكريا، ديوان الأميرعبد القادر الجزائري،ديوان المطبوعات الجامعية،الساحة المركزية بن عكنون_ الجزائر.
10. صيام زكريا،ديوان الأميرعبد القادر الجزائري،ديوان المطبوعات الجامعية،الساحة المركزية بن عكنون_الجزائر. ط1 2006.
11. عبد المجيد بيرم،مذكرات الأمير عبد القادر،شركة دار الأمة للنشر،2007.
12. عمر بن قينة، الأدب الجزائري الحديث تاريخا وأنواعا وقضايا وأعلام،ديوان م ج،الساحة المركزية بن عكنون.
13. فؤاد صالح السّيد،الأمير عبد القادر الجزائري،متصوفا وشاعرا،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر،1985.
14. محمد إبراهيم سليم،محمود سامي البارودي رائد الشعر العربي،دار النشر للطلائع،للنشر والتوزيع والتصدير.
15. محمّد الطمّار،تاريخ الأدب الجزائري،ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية بن عكنون.
16. محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية،1954/1830.
17. محمد بشير بويجرة، الأمير عبد القادر رائد الشعر العربي الحديث، دار القدس العربي للنشر والتوزيع، ط1،2009،1.

18. محمد بنيس،الشعر العربي الحديث، بنياته وإبدالاتها،دار برتغال للنشر،ط2.
19. محمّد عبد المنعم خفاجي،مدارس الشّعر الحديث،دار الوفاء، دنيا الطباعة والنشر،2004.
20. مصطفى عبد الشّافعي،شوقي ضيف،تاريخ الأدب العربي،دار الوفاء للدنيا والطباعة والنشر
21. يحي بوعزيز،الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، دط،الساحة المركزية، بن عكنون الجزائر.
22. ممدوح حقي، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، الساحة المركزية، بن عكنون الجزائر.

فهرس الموضـوعات

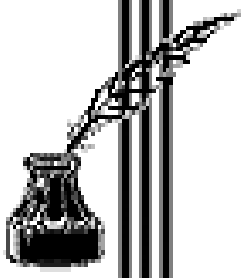

فهرس الموضوعات

مقدمة

الفصل الأول: لمحة تاريخية عن الأمير عبد القادر

تمهـــــيد..... **6**

ترجمة الأمير عبد القادر..... **8**

1. نسبه..... 8
2. مولده و نشأته 8
3. مرضه ووفاته..... 9

الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري..... **11**

4) بيعته بالإمارة 11

5) فكر الأمير..... 12

6) الأمير قائد الثورة الجزائرية..... 13

الأمير عبد القادر رائد الشعر العربي الحديث..... **17**

1) الأمير شاعرا (شعر المقاومة و النضال)..... 18

أغراضه الشعرية..... 19

2) الأمير بين الأصالة و التجديد 24

نثر الأمير و آثاره..... **26**

3) الأمير ناثرا..... 26

4) آثاره..... 26

الفصل الثاني: لمحة تاريخية عن محمود سامي البارودي

ترجمة البارودي (مولده، نسبه، حيلته، وفاته) **29**

البارودي ضابطا وسياسيا..... 31

البارودي و الثورة العرابية..... **31**

البارودي من رواد الشعر العربي الحديث **33**

1-البارودي شاعرا..... 33
2- أغراضه الشعرية..... 35
3-البارودي بين التقليد والتجديد 39
نثر البارودي و آثاره 42
3 - البارودي ناثرا..... 42
4 - آثاره..... 43
الفصل الثالث: موازنة بين الأمير عبد القادر ومحمود سامي البارودي
III. أوجه التشابه و الاختلاف..... 46
1. أوجه التشابه..... 46
2. أوجه الاختلاف..... 47
IV.**مقابلة بين قصيدتين للأمير و البارودي (المنفى)**..... 48
1. دراسة تحليلية للقصيدتين..... 48
2. خصائص أدب المنفى..... 59
IV.الأسبقية في الريادة و إحياء الشعر العربي..... 60
1. الإحياء، الحداثة والمعاصرة 60
2. الأمير والبارودي وفرضية التأثر والتأثير..... 61
خاتمة 62
ملاحق 64
قائمة المصادر والمراجع 66